ما هي الروح ؟

ما هي

الروح ؟

تأليف

الأستاذ محمد قرقنجي

ترجمة
سامي سليمان عارف

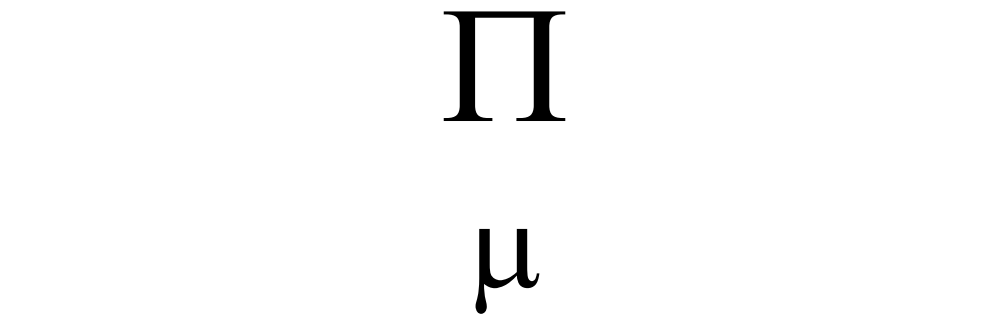

إن وراء جسمانية الإنسان عالمٌ معنوي تقوم به هذه الجسمانية، وتقوم عناصر هذه الجسمانية البسيطة وموادها الجامدة التي لا تمتلك أي كمال – بحد ذاتها – بخدمة الماهية المعنوية التي هي محل

الفيوضات ومنبع الكمالات وعاشقة الجمال ومصدر الحياة. وبوساطة هذه الماهية المعنوية يعرج الإنسان إلى العُلا ويبدأ ببحث أسرار وحقائق هذا الكون. وهذه الماهية جميلة وحساسة وذات معاني عالية بحيث يعجز الإنسان عن وصفها. ولا يمكن القول بأنها تكونت من اللحم والدم والمضغة ... ففيها المحبة والسرور، وفيها رغبة البقاء والأبدية والشوق إليها، وفيها آمال لا بداية لها ولا نهاية، وفيها الحيوية والحركة والشوق والعشق. وأخيراً فيها استعداد للإيمان والمعرفة والمحبة والخوف والرجاء. وان تلك الماهية هي الروح.

وبمقتضى جبلته بدأ الإنسان وعلى مدى تاريخ البشرية بالبحث عن هذه الحقيقة وعن ماهيتها. وبذلك أراد أن يكون صاحب إدراك وشعور في ذاته. وفي الحقيقة ان هذه الرغبة تأتي في الإنسان قبل كل ملاحظاته وآرائه.

وفي كل عصر نرى أن حقيقة وماهية الروح أخذت تشغل الكثير من رجال الفكر والفلاسفة، فقدموا في هذا المجال آراء عديدة وألّفوا كتباً كثيرة. فمنهم مَن لم يستمد من الوحي الإلهي، بل تحرك مستنداً لعلمه الجزئي وفكره القاصر، فلم يستطيعوا الوقوف على الحكمة الحقيقية للروح ولا عن سر وجودها ولا المعاني العميقة التي تحتويها. حتى ان قسماً من هؤلاء الفلاسفة قد أخطأ خطأً كبيراً عندما قالوا بتناسخ الأرواح. فقلّبوا بذلك محبة الروح وسرورها إلى آلام وأكدار، وتلقوها مخلوقاً عادياً لا وظيفة لها وانتهكوا حرمتها بسفسطة (التنويم المغناطيسي) فجعلوا هذه اللطيفة الربانية التي تحتوي على آلاف الأسرار، ألعوبة بيد السفهاء. بيْدَ أن الروح أثرٌ – لا مثيل لها – للصانع ذو الجلال وهي بمثابة مفتاح للخزائن المخفية للأسماء الإلهية الحسنى.

وتحتوي ماهية الروح على حواس معنوية واسعة سعة هذا الكون، وفيها طبقات من الأسرار وخزائن أبدية لا تنفد ومشاعر كثيفة تحيط بالكون كله. فعندما تسيطر أي حاسة من هذه الحواس على ماهية الروح فان هذه الحاسة تكبر وتتسع معنىً بكبر الكون وسعته.

وعندما تفعم هذه الماهية وتفيض بالهمة يصبح الإنسان بمثابة أمة لوحده، فيعيش من أجلها ويموت لأجلها. وعندما تستولي عليها الشفقة، يسمو الإنسان ويعلو إلى حد يستطيع أن يحتضن الكون كله. وعندما تحكمها الشجاعة، فان هذا الإنسان يستطيع أن يدمر جيوشاً رغم أنوف الظالمين والمتكبرين ويذلهم ويحقرهم. أما إذا ما أشرقت شمس الشوق في تلك الماهية فينتفض الإنسان كانتفاضة التربة في الربيع، فينقلب إلى بستان يفوح بأزهار الابتسامات من حوله.

وإذا ما أحاطت العداوة بتلك الماهية، فان عقارب الحقد والحسد ستقتل صاحبها. فيقوم هذا الإنسان بتدمير كل شيء من حوله لتطمين حس الانتقام الذي تولد لديه، فلا تخمد غضبه البحار والمحيطات.

وإذا ما أحاط اليأس بتلك الماهية، فان الإنسان يتقوقع في داخله وينكمش ويتجمد عالمه الداخلي وتزول أحاسيسه. وإذا ما أوقدت شعلة المحبة في باطنه فانه يرى أن هذه المحبة هي حجر الأساس لكل شيء وجوهره، وحينئذ لا يحب الناس من حوله فحسب بل المخلوقات قاطبة. وإذا ما غلبت وساوس شيطانية على هذه الماهية فان الإنسان يفوق الشيطان في العتو والفساد.

إذن فهذه الماهية التي يمكن أن تصبح محلاً ومركزاً للمعاني والصفات السامية والمتدنية التي ذكرناها، لا يمكن أن تعزى إلى جسد الإنسان البسيط وذراته وخلاياه، وان عالم المادة لا يحمل مثل هذه الصفات والمعاني.

فماهية روح الإنسان عالية وكنهها راق وجوهرها عظيم. وان سعة عالم فكره وخياله تصل إلى الأبد، وحافظته تذكرنا بأرشيف منتظم يحفظ ملفات كثيرة، وان ميدان سير ودوران عقله يتجاوز دائرة الإمكان ليصل إلى دائرة الوجوب.

فلله الحمد رب السماوات والأرض وما بينهما وحده الذي جعلنا أكرم مخلوقاته وخلقنا في أحسن صورة وسيرة وزيّن ظاهرنا وباطننا بأجمل الحواس واللطائف، وشرفنا بالعلم والمعرفة ونوّر باطننا بالإيمان والإسلام وجعل قلوبنا مرآة لمعرفته سبحانه وتعالى.

واللهَ أسأل ربيَّ الرحيم أن يجعل هذا الكتاب وسيلة لمعرفة ذاتنا على أكمل وجه وللوصول إلى معرفته ونيل رضاه ومحبته سبحانه.

المؤلف

محمد قرقنجى

حقيقة الروح

ما هي الروح

توجد في الإنسان حقيقة، وان ماهية هذه الحقيقة تختلف مع جسم الإنسان وتختلف مع الأفعال التي يقوم بها ذلك الجسم. ولا توجد أية نقطة مشتركة بينها وبين صفات الجسم بحيث يمكن المقارنة بينهما. لذا فان خصائص وصفات هذه الماهية لا تتوفر في بناء الجسم.

ومن المعلوم، إن أي جسم لا يمكن أن تتحول من شكل إلى آخر ما لم يترك الشكل الأول تماماً. فمثلاً : من المحال أن يكون أي جسم هندسي مثلثاً ومربعاً في آن واحد. فلا يمكن أن يظهر بالشكل الثاني ما لم يفقد الشكل الأول. وكذلك لا يمكن تسجيل تلاوتين من القرآن الكريم في آن واحد على شريط واحد.

ولكن في الإنسان توجد ماهية تستطيع أن تحتفظ بخطط وبرامج لا تعد ولا تحصى وصوراً وأشكالاً ونقوشاً عديدة وبأدق تفاصيلها ودون أن تختلط مع بعضها البعض، ودون أن تظهر فيها أية أزمة أو ضيق في المكان. وكل شكل فيها يخالف الآخر دون نسيان أو محو أو تغيير. وتستوعب هذه الماهية علوم كثيرة ومتنوعة في شتى المجالات. فتفكر وتدرك العلاقات التي تربط الأسباب بالغايات وتنظم الأفكار، وبذلك تحول المطالب والرغبات الموجودة في القوى إلى الأفعال وآرائها إلى العمل والبديهيات. فلا يمكن اعتبار هذه الصفات من خصائص الجسم ولا من خصائص الدم واللحم والعظم. بل هي صفات الماهية الموجودة في داخل الإنسان. وان هذه الماهية لا تهرأ مع الجسد بل تترقى وتنمو كلما خار الجسد. فمثلما يكون جسد الإنسان في فترة طفولته وشبابه طرياً، فان فكره لم يكتمل في نموه. أما في هرمه فان الفكر يصبح نشيطاً وحيوياً بالعلوم والتجارب مقابل اعتلال الجسد.

ان في الإنسان شوقاً وحرصاً نحو العلم والمعرفة ولديه رغبة كبيرة في البحث والاستدلال. وهذه الصفات هي من صفات تلك الماهية.

وعندما يصغي إلى عالمه الداخلي فان يسمع أصداء معنوية كثيرة، فيعلم يقيناً ان هذه الأصداء لم تصدر من الجسد، وإنما هي صادرة من عالم آخر يختلف كلياً عن الجسد. فهذه الأصداء تخبرنا عن عالم الروح.

وان للإنسان علاقة مع ماضيه وحاضره ومستقبله. فميدان عمله ليس محصوراً في مكان وزمان معينين، وإنما يتعدى كل الأزمنة والأمكنة. فله علاقة مع أصدقائه وأقاربه وأجداده بل مع دينه ومقدساته وأمته ودينه. فهذه الصفات جميعاً تخبرنا عن تلك الماهية الموجودة في الإنسان.

وبين حين وآخر يثور الإنسان ويغضب ويهدد ويشمئز وينفّر ويقلق ويهين الآخرين ويحبهم ويحبونه. ويتزين بالعلم ويتعمق في التفكير والتدبر، ويتجاوز مشاكله بالصبر. ويحمل بين جنباته شوقاً واشتياقاً كبيرين، ويدرك بالحدس القطعي الأسرار الموجودة وراء ألف حجاب وحجاب. فيمد يده إلى الأزل ويتعانق مع الأبد. وحتى لو أفترض أن هذا الإنسان عاش حياة أبدية في هذه الحياة الدنيا، فانه لن يطرأ أي تغيير على تلك الصفات جميعاً. لأنه يحمل ماهية واسعة تحيط بجميع تلك الحوادث. وان هذه الصفات هي صفات تلك الماهية أيضاً.

وان لكل عضو في الإنسان وظائف معينة، فمثلاً : ان وظيفة العين هي الرؤية، ووظيفة الأذن هي السمع، إلاّ أن هذه الأعضاء لا تستطيع بذاتها إصدار حكم في تقدير المعلومات التي تكتسبها. أي ان العين لا تستطيع بذاتها أن تحكم على خطأ أو صواب شيء ما، وكذلك الأذن. وقس على ذلك جميع الأعضاء.

إذن إن هناك ماهية تكتسب هذه الأعضاء قيمتها منها وتحركها وتؤثر فيها وتثبتها على رأي عن طريق التميز. وان هذه الصفات هي تشير إلى وجود تلك الحاجة.

تأملوا إنساناً خرج إلى سياحة خيالية للمشاهدة والمعرفة. وبعد أن جمع هذا السائح جميع العلوم في الدنيا وجعلها كباقة ورد ووضعها في عقله، وركب مركبة فضائية فصعد إلى الفضاء وجال بين ألوف النجوم وبين طبقات السماء وشاهد نظام المجرات وانتقل بين مالا تحصى من العوالم، فانه يستطيع احتفاظ جميع الحقائق التي سبق إليها علمه وشاهده بعينه، في فكره وعقله وينقلها إلينا بعينها. فلو انتقل هذا السائح بعدما أحاط بعلمه على ماهية الأشياء في هذه الدنيا إلى ما وراء السماوات حتى ارتقى إلى العرش الأعلى واستمتع بالمناظر الأبدية فان مرآة تلك الماهية لا يمكن أن تقول ((حسبي ما شاهدت فلا طاقة لي أن أشاهد واسجل المزيد)). بل العكس من ذلك، فان تلك القابلية ستزداد عند كل منظر ممتع ومشهد عجيب. وأما جسمه فانه ثابت لا يطرأ عليه أي تغيير. إذن إن هذه الماهية الموجودة في الإنسان تحمل سعة تحيط بالحوادث والوقائع إلى الأبد. فما هي العلاقة بين هذه الماهية وبين الجسد؟. إن هذه الصفات والخصائص التي لها قابلية الوصول إلى الأبدية، تخبرنا عن تلك الماهية التي تتحكم في أجسامنا.

((... نظرت إلى نفسي وتأملت فيها ورأيت أن الذي خلق الحيوانات من قطرة ماء خلقني أيضاً منها، وبرأني معجزة من معجزاته، وشق سمعي وبصري ووضع دماغاً في رأسي وقلباً في صدري ولساناً في فمي بحيث خلق في ذلك الدماغ والقلب واللسان مئات من الموازين الدقيقة والمقاييس الرقيقة التي تتمكن من أن تزن وتعرف جميع هدايا الرحمن المدخرة في خزائن الرحمة الإلهية وعطاياه الكريمة، وادرج في تلك الأعضاء ألوفاً من الآلات التي تتمكن من أن تفتح كنوز تجليات الأسماء الإلهية التي لا نهاية لها، وأمد تلك الآلات والأجهزة معرّفات معينة مساعدة بعدد الروائح والطعوم والألوان))[1].

لو أمعن النظر في العبارات البليغة المذكورة آنفا، نرى إنها تشير قبل كل شي إلى ((أنا)). وان منشأ هذه الـ ((أنا)) ليس من قطرة ماء، وإنها ليست هي العين ولا الأذن ولا اللسان. وفي الوقت نفسه

(1) (الشعاعات / الشعاع الرابع ص76-77)

ليست هي القلب ولا الرأس ولا الدماغ. وان هذه الـ ((أنا)) هي الروح. أما الجسد فهو بمثابة عش للروح. فكما لا يمكن تصور قصر بلا سلطان كذلك لا يمكن أن يتصور جسد إنسان بدون روح.

للروح الإنساني جهتان :

الأولى أنها متأثرة أي إنها تحت التأثير. فالحكيم القدير قد أرسل رسله لترقي وسمو هذه روح، وجعل الأنبياء مرشدين ومعلمين ومربين في تعليم أرواح الإنس. وبوساطة الوحي بيّن سبحانه أسرار الأزل والأبد لتتصفى تلك الأرواح وتترقى في السعادة والكمال. فالأرواح التي تلقت حقائق الوحي الإلهي وحقائق أحاديث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واستسلمت لها وتأثرت بها تكتسب كيفية وقيمة يعجز القلم عن وصفها.

والجهة الثانية للروح هي أنها مؤثرة. ويكون تأثيرها من جهات عديدة. فهي مؤثرة في جسدها، فتقوم بإدارة وتشغيل جميع الأعضاء وسوقها إلى الهدف المطلوب. وهي مؤثرة في العالم الخارجي والمادي أيضاً. فتقوم بالبناء والإنشاء والتخطيط والترتيب. وتقوم أيضاً بمد يدها إلى ميادين عديدة بقوة العلم والتكنولوجيا مستفيدة من القوانين الموجودة في الكون، سائقة المدنية إلى الترقي.

وكذا فالروح مؤثرة في نظام العالم، ومؤثرة في الأمن والاستقرار وفي الحياة الاجتماعية والسياسية. فتقوم بالتوجيه والإدارة والتأثير وتعمل على الإثارة وتكوّن المجتمع طبقاً لعقيدتها ورغبتها.

الخلاصة:

- إن روح الإنسان في علاقة مستمرة مع عالم الشهادة وعالم الغيب. فتأخذ الفيض من عالم الغيب، وتؤثر بعلمها ومعرفتها في عالم الشهادة.
- الروح قائمة بذاتها. ولكنها حادثة ومخلوقة وهي اللطيفة الربانية والجوهر الفرد التي تدرك بذاتها وتتصرف في الجسد بوساطة الأعضاء والحواس. وإنها أبدية ولكنها ليست أزلية وان أبديتها ثابتة بالكتاب والسنة. وهي تدرك، وان الدماغ هو أهم المراكز التي تتعلق بعملية الإدراك. وهي ليست عرضاً حلّ في الجسد. بل إنها الجوهر.
- لا تحتاج الروح إلى استعمال أعضاء الجسم في كل آن لفهم وإحساس الموجودات في الكون المنظور. لأنها لا تستطيع السماع والرؤية في عالم المنام دون أن تستعمل حاستي السمع والبصر.

من ناحية أخرى هناك فرق بين ماهية الروح وماهية الجسد. فلا يحمل أحدهما حمل الآخر. ومن الحقائق المعلومة: ان الذرات لا تحمل في ماهيتها صفات مثل الحياة والعلم والإرادة. وان جميع الكائنات الحية وغير الحية تكونت من ذرات جامدة لا تمتلك خصائص كالعلم والإرادة. فهذه الذرات لا تستطيع تكوين نفسها أو تكوين جسد كائن آخر. وان هذه الذرات التي هي كجنود مطيعين

لأوامر الخالق الحكيم استخدمت في تأليف كتاب الكائنات هذا كاستخدام ذرات الحبر في كتابة أي كتاب. أو إنها استخدمت في إنشاء أجساد ضيوف قصر الكائنات كاستخدام الأحجار في بناء أي قصر. ومن المعلوم انه لا يستوي الحبر والمعنى ولا يستوي القصر والضيف. لأن لضيوف هذا القصر خصائص معينة كالتفكر والشفقة والرحمة والمحبة والخوف، وهي في حكم المعدوم في أحجار القصر. وكذلك صفات وخصائص روح الإنسان، فهي معدومة في الذرات والجزيئات التي تشكل قفص الروح وهو الجسد. بل هي صفات وخصائص معنوية تخص الحياة وليست مادية. وان هذه الحياة المعنوية ليست سوى الروح. فما دام هذه الحياة موجودة فمن البلاهة إنكار الروح. لأن الذرات التي تكوّن مادة جسم الإنسان تحتاج إلى محرّك ومدبّر لحركتها. فالمحرّك الذي يحرك هذه الذرات هو الروح. فلولا هذه الروح لأصبح الجسد كمعمل تعطلت فيه جميع دواليبه ومكائنه.

وهناك صفات تختلف درجاتها من إنسان إلى آخر كالكرم واللطف والشجاعة. فعندما تكون إحداها في إنسان كالقطرة نرى أنها كالبحر في الآخر. فلوا أسندت هذه الصفات إلى المادة لتساوت مراتبها في جميع بني البشر. لأن صفات المادة ثابتة لا تتغير. لذا فان جميع هذه الصفات تصدر من ماهية معينة، وهذه الماهية هي الروح. بل هي مركز جميع الصفات كالعلم والمعرفة. وبما أن الروح هي لطيفة ربانية وجوهر مجرد من المادة، فان الإنسان لم يستطيع إدراك ماهيتها. ويعلن أهل العلم والحكمة– مع قبولهم بوجود الروح– عجزهم عن معرفة ماهيتها، وان الله تعالى وحده هو العليم بها.

إن الآية الكريمة { وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلاّ قَلِيلاً } تعتبر نقطة انطلاق جميع العلماء في بحثهم عن الروح. فمهما عملوا من بحوث دقيقة وعميقة في مجال الروح فانهم لن يصلوا إلى حقيقتها.

وهناك أشياء كثيرة لا نعرف ماهيتها وكنهها رغم علمنا وإقرارنا بوجودها فمثلا : إننا لا نرى قوى الجاذبية والدافعة التي تربط الشمس بالمجرات ولا نرى القوة الحرارية والكهربائية بعيوننا، إلاّ إننا نؤمن بوجودها من نتائجها وآثارها ورغم ذلك لا نستطيع الإحاطة بحقائقها وماهيتها. وكذلك الروح فهي مجهولة بالنسبة إلينا من جهة ماهيتها. إلاّ إنها تُظهر نفسها بآثارها وفعاليتها.

نعم ان الإنسان يدرك بوجود معامل ومصانع تعمل في جسمه وتتحير منها العقول. ولا يستوي العامل والمعمل. بناءً على ذلك فان القائم على تشغيل معمل الجسد هو كائن في ماهية مختلفة عن الجسد. وكذلك لا يستوي المدبِّر والمدبَّر والمربِّي والمربَّى والمحرِّك والمحرَّك وان ذلك المدبِّر والمربِّي والمحرِّك إنما هو الروح.

ومن المعلوم انه عندما يشيّد أي قصر فانه لا يشيّد لأجل أحجاره ومواده الإنشائية التي يتكون منها القصر، ولا لأجل زينته وزخرفه وشكله، وإنما يشيّد ويهيأ لأجل سلطان يليق بمقامه. وكذلك

جسد الإنسان فانه وجِدَ لأجل سيده الذي يسكن في قصر الجسد وليس لأجل خلايا الجسد.وكما يحتاج السلطان في تنظيم إدارة مملكته إلى رئيس وزراء ووزراء كالداخلية والخارجية وغيرهم، فان سلطان الروح كذلك يحتاج إلى العقل الذي يعتبر بمثابة رئيس الوزراء وحواس داخلية وخارجية بمثابة وزيرا الداخلية والخارجية. فإذا ما قلنا بأن العقل هو رئيس الوزراء لسلطان الروح، فان القلب يُعد كرسياً لعرش سلطنته. وعندما يتولد أي معنى في القلب كـ ((بسم الله)) فانه بعدما يصدّقه الفكر يظهر ككلمة وبعدها ككتابة. وهذه العلامة هي من آثار وفعاليات الروح. ورغم عدم رؤية الروح فان وجودها يعرف من حركاتها وفعاليتها في مملكة الجسد. فهي حاضرة وناظرة في كل خلية من خلايا الجسد. فمثلا لو أخذنا جسم إنسان ميت فإننا لا نرى أي علامة حيوية في أي جزء من أجزاءه. إذن هناك حقيقة مستقلة ذات شعور فارقت الجسد وهي ليست من جنسه. وهذه الحقيقة ليست سوى الروح. ففي هذه حالة إن وجود الروح حقيقة لا ريب فيها.

في أحد الأيام كان بدوياً يمشي في الصحراء فيصيب بعيره الوهن فجأة ويموت فيتعجب البدوي من موت بعيره فيخاطبه: ((إذن هناك شيء آخر في باطنك يحملني ويحمل عنك أثقالك، تُرى ما هي القوة التي كانت تحملنا جميعا؟))

كان البدوي محقاً في ذلك لأن ذلك الجسد كان قبل قليل يمشي ويرى ويحمل الأثقال. إذن إن شيئاً ما قد خرج من ذلك الجسد ولم يره البدوي. وذلك الشيء ليس سوى الروح.

وكما إن الإدارة المنتظمة لمملكة تُرينا وجود سلطان لها، فان الجسد أيضاً يرينا حاكم ومتصرف فيه وهو الروح. فكما انه من الغرابة لقائد يدير مملكة أن ينكر نفسه، كذلك فانه من الغرابة بألف درجة أن تنكر الروح نفسها والتي تدير الجسم بأكمله...

ويدرك الإنسان المتأمل بأن أي عضو في جسمه لم يُخلق لذاته، أي أن العين لم تُخلق للعين، والأذن لم تُخلق للأذن وهكذا سائر الأعضاء. بل العكس من ذلك فان كل عضو من هذه الأعضاء إنما خلق لأجل خدمة مخلوق آخر.

وتدل الخصال والمزايا التي يمتاز بها الإنسان كالتصور والتفكر والإرادة، خلافاً لسائر المخلوقات، بأن لها منشأ يختلف تماماً عمّا هو في سائر المخلوقات.

إن قوانين الجاذبة والدافعة التي تساعد على تكوين الجزيئات في الذرة هي نوع حياة لها. وفي النباتات إضافة إلى الذرات التي تكوّن البناء المادي الخارجي للنبات توجد حياة أخرى وقانوناً خاصاً له تؤمّن نمو النبات. وفي الحيوانات كذلك– خلافاً عمّا هي موجودة في النباتات– توجد الروح المتكونة من مجموعة من الحواس وتمتلك نوعاً من الإرادة. أما في الإنسان فإنها تشاهد حياة مجهزة بحواس متنوعة وبشعور وفكر وإدراك تفوق سائر المخلوقات.

ورغم ضلال الماديين بإنكارهم الروح عندما قالوا: ((إن الروح ليست موجودة في الحقيقة، وإنما عبارة عن مجرد مفهوم)) إلاّ انهم لم ينجوا من إقرارهم بوجودها بقولهم ((ولكن الروح ماهية لا ندركها نحن.)). وفي الحقيقة إن في إنكارهم للروح تصديق لها. لأن المصدِّق والمنكر لوجودها هو الروح نفسها. إلاّ ان الإنكار يدل على جهلها والتصديق يدل على علمها. لأن الإنكار والتصديق كل منها عبارة عن فعل والفعل يحتاج إلى الفاعل. والفاعل هنا ليس سوى الروح المعبر عنها بـ ((أنا)) في الجمل ((أنا اصدّق ذلك)) أو ((أنا أنكر ذلك)).

ولا يمكن لأي منصف أن يكون غافلا عن هذه الحقيقة التي هي أساس الجسم. لأن حقيقة الروح تُعكس من مرآة الوجدان. أي أن الإنسان المنصف يعلم وجداناً بوجود ماهية تقوم بإدارة وسوق هذا الجسم. وان تصديق الوجدان لشيء ما هو حُكمٌ علمي ولا يمكن إنكاره لأن إنكار هذه الحقيقة يولد مشاكل يصعب حلها وبذلك لا يمكن حل سر الخلق ولا يمكن التوصل إلى إدراك غاية الإنسان والكون.

نعم كما أن ماهية الروح عالية إلى درجة بحيث لا يمكن لإدراك الإنسان استيعابها. كذلك فان وجودها لاشك فيه ولا شبهة. وان إنكار سلطان الروح الذي يحكم جسد الإنسان وإعطاء خصائصها للمادة الصماء العمياء الجامدة التي لا حياة لها، يسوق البشرية إلى وحشة قاتمة.

لنوضح ذلك بحكاية تمثيلية:

رجلان شاهدا سفينة تتحرك، ولم يكونا قد رأيا سفينة من قبل فسأل أحدهما الآخر:

- مَن الذي يدير هذا الجسم؟. أجابه الثاني:
- لا أحد ؛ انه يدير نفسه بنفسه فلو كان له مدبراً غيره لرأيناه بأعيننا.

وكان الأول عاقلاً ذا بصيرة، فقال لصاحبه:

- يا صديقي انك على خطأ. لابد أن لهذا المركب البحري من مدبر. ولا يمكننا إنكار وجوده لعدم رؤيتنا له لأنه لا يمكن الحكم بنفي شيء لعدم رؤيتنا لذلك الشيء. انظر أننا لم نكن نرى هذا المركب قبل قليل. ولكنه كان موجوداً فلو أنكرنا ذلك لكان خطأ. وينبغي لك أن تقر بأن هذا الجسم يتحرك ويدار بعلم وإرادة وحكمة. لذا فان أحداً ما يأمر بحركته ويعين اتجاهه ويوقفه أينما شاء. الحاصل انه لابد لهذا المركب من قائد.

وأبدى الثاني برأي آخر:

- ألا تستطيع أجزاء هذا المركب أن تدير نفسها دون وجود قائد له؟.
- لا يمكن ذلك لأن تلك الأجزاء لا تمتلك عقلاً ولا فكراً ولا علماً. وأنها عاجزة عن معرفة نفسها ووظائفها ناهيك عن إدارة المركب.

ولكن الرجل الثاني عاندا وأصر قائلاً :

- ربما ان وقود المركب هو الذي يسيره.

فأجابه صاحبه:

- وهذا لا يمكن أيضاً. لأن الوقود الذي تقول عنه هو كأجزاء المركب لا يمتلك عقلاً ولا شعوراً ولا علماً فكيف يقوم بأعمال ذات علم وشعور.
- إذن ففي هذه الحالة فان الجسم يدبّر نفسه بنفسه.
- لقد أخطأت لأن هذا الجسم يتكون من الأجزاء التي ذكرناها آنفاً. بناء عليه فان هذا الجسم كأجزائه لا يمتلك عقلاً ولا شعوراً فهو أعمى واصم وجاهل. لا يعرف نفسه ولا يعرف البحر. وان قيل بأن هذا الجسم يدير نفسه ويعين اتجاهه بنفسه فهي خرافة بعيدة عن العقل كمَن يقول ان القلم يكتب بنفسه.

فبهت الرجل الثاني أمام هذا البرهان دون أن ينطق بشيء.

ان المركب المذكور في المثال هو جسد الإنسان وأما القائد فهو الروح. أما القصد من أجزاء المركب فهو أعضاء الجسم. والوقود هي الدم والسوائل والطاقة الموجودة في جسم الإنسان، وأما الرجلان فالأول هو المؤمن الذي يصدق بوجود الروح والثاني هو الإنسان المادي الذي ينكر وجود الروح .

ماهية الروح مجهولة

من المعلوم إن الإنسان لا يجهل ماهية الروح فحسب، بل يجهل حتى ماهية حياة ابسط نبات. وماهية الأشياء التي لا يعلمها إلاّ الله تعالى. لأنه هو خالق الموجودات وبارئها.

يقول الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي[1] رحمه الله : ((إن وجود العقل هو لإيفاء وظيفة العبودية، وليس لإدراك أسرار الربوبية)). وبهذه العبارة البليغة بيّن بديع الزمان على نحو صحيح بأن الإنسان ليس مكلفاً لحل أسرار الربوبية ولا طاقة له على ذلك.

---

(1) بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) : ولد في سنة 1293هـ (1873م) في قرية (نورس) قرب بحيرة (وان) الواقعة شرق تركيا . درس العلوم الإسلامية كلها وأتمها وتغلب في جميع المناظرات والمناقشات التي دخلها مع العلماء . أخذ يؤلف منذ سنة (1926م) مستمداً من فيض القرآن الكريم رسائل تنوف على المئة والثلاثين رسالة سماها « رسائل النور » طيلة سنوات عمره التي قضاها بين النفي والتشريد والسجن والتي تزيد على ربع قرن . وظل الأستاذ النورسي – رحمه الله – دؤوباً في خدمة القرآن الكريم والإيمان بالتأليف والتوجيه إلى أن وافته المنية في 26 رمضان المبارك سنة 1379 هـ والموافق 23 مارت سنة 1960 م . رحمه الله رحمة واسعة .

فمثلا في الوقت الذي ندل على وجود الكهرباء بعقولنا رغم إننا لا نراها بحواسنا ولا نعرف ماهيتها، ومع ذلك لا يساورنا شك بوجود هذه الحقيقة التي لا تُلمس باليد ولا تُرى بالعين، وليس لها طول أو عرض، أو حجم. ولا هي كثيفة أو سائلة وليس لها أي طعم أو رائحة أو لون. لأن تلك الحقيقة ظاهرة أمام العيان بآثارها وحركاتها وثمارها ونتائجها. ونحن نعلم بأن الكهرباء هي التي تقوم بعملية الحساب في الحاسبات الإلكترونية، وبنقل الأمواج الصوتية في الراديو وبنقل الأصوات والصور في التلفزيون وبحفظ الأصوات في شريط التسجيل وبالإنارة في المصباح. فالكهرباء هي التي تقوم بكل هذه الأعمال. ولكن لو فرضنا أن لهذه الكهرباء التي تمتلك هذه المهارة شعوراً، فإنها لا تعرف نفسها وماهيتها. فلو كانت لها قابلية الرؤية لتمكنت من رؤية آلات الماكنة التي تسعى إلى تشغيلها فحسب. وكذلك الروح فإنها رغم عدم معرفتها لماهيتها فانه تقوم بأعمال كثيرة في معمل الجسد وفي آن واحد ودون خطا أو سهو.

الخلاصة: هناك حقائق لم يدرك الإنسان ماهيتها ولم يستطيع رؤيتها بحواسه الظاهرة والباطنة. والروح واحدة من هذه الحقائق.

* * *

دلائل نقلية على وجود الروح

إن أهم مصدر في بحث أية حقيقة كانت هو ((المتخصصين)). وان من إحدى الصفات المتميزة بل المهمة في المجتمعات الراقية هي احترام المتخصصين ورعايتهم لتقسيم الأعمال. والسبيل الوحيد للحصول على المعلومات الموثوقة والصحيحة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والفكرية هو مراجعة رجال متخصصين قضوا حياتهم ومساعيهم في مجال معين. ومن المقتضيات عزة العلم هي احترام التخصص وهو ضروري عقلاً ودينا وحكمة ووجدانا.. ولهذا السبب ولأجل الحصول على إجابات صحيحة وموثوقة لأسئلة مثل :((ما هي الروح ولماذا خُلِقت؟)) ينبغي مراجعة ذوي الاختصاص في هذا المجال.

والآن نتأمل: هل يستطيع العلم إعطائنا معلومات صحيحة وموثوقة تخص الروح وحقيقتها؟ ومن المعلوم إن العلوم النظرية تقوم على أساس دراسة المخلوقات عن طريق التجارب والاختبارات فتبحث عن ((كيف)) وقعت الحوادث ولكنها لا تقف عند ((لماذا)) وقعت الحوادث. فتبقى الروح والحقائق التابعة لها في هذه الحالة تبقى خارج ساحة فعالية العلوم النظرية.

أما الفلسفة: فإنها تقف على ((لماذا)) وقعت الحوادث فتبحث عن اصل الأشياء وعن الإنسان وعن الخلق والأزل والأبد والروح. ولكن عندما ندقق تاريخ الفلسفة تظهر لنا شبهات ومتناقضات بعدد الفلاسفة. ففي هذه الحالة أي سبيل من سبل الفلاسفة يتبع، وكلام أي منهم يؤخذ بنظر الاعتبار؟ وفي الحقيقة أظهر اكثر الفلاسفة قبولهم بوجود الروح إلاّ انهم وقعوا في متناقضات كثيرة في حقيقة الروح وماهيتها وغاياتها فانحرفوا عن الحقيقة.

إن الفلاسفة الذين يبحثون عن حقائق جميع الأشياء لو بحثوا بمقتضى وظائفهم عن الوحي ودققوا في معانيه وعلموا بحقائقها لاجتازوا الصعوبات الكبيرة التي تجابههم بسهولة ويسر، ولتخلصوا من الأوهام ولكسبوا حق ريادة الناس وإرشادهم.

وعند تدقيقنا المذاهب الفلسفية نرى أن اغلب الفلاسفة لم يدخلوا تحت نور الوحي الإلهي. فتكلموا عن أشياء وحكموا عليها من عند أنفسهم مستغنين عن أحكام من سواهم في هذا الموضوع ظناً منهم أن لهم نصيبٌ في الخلق وانهم في درجة الكمال ولم يروا عجزهم وفقرهم ونقصهم أي انهم لم يتفكروا في هذه الحقائق: ((مَن خلقني؟)) ((ومَن صنعني؟)) ((ومَن يطعمني بتدبيره وعنايته؟)). ومن الجدير بالإعجاب إن هؤلاء الفلاسفة غافلين عن إن إنكارهم المعتمدة لديهم وإرادتهم مخلوقة مثلهم.

ولاسيما فلاسفة الماركسيين والماديين فانهم ارسوا قواعد بنيان فلسفتهم على أسس من الحقد والاغبرار والإنكار فذهبوا إلى إنكار الله وإنكار الفطرة والروح والأخلاق الفاضلة وجميع الحقائق السامية، فعبدوا المادة وأرادوا بذلك تسلية أنفسهم وأنى لهذه الأرواح الخبيثة التي تعادي جميع العقائد والفضائل وتتلذذ بالإنكار والجمود بالتكلم عن الروح ؟.

ففي هذه الحالة لا تعد العلوم النظرية ولا الفلاسفة من قبيل أهل التخصص في موضوع الروح. وان صاحب القول في هذا الموضوع هم الأنبياء (عليهم السلام) والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء. لأن أولئك الذوات لن يتكلموا من عند أنفسهم بل يترجمون الوحي الإلهي.

ومن الأصول المقررة ((إن الصانع يعلم، والعالِم يتكلم)) وبناءً على هذه القاعدة فالحكم الحقيقي والقاطع عن الروح إنما لخالق الروح.

نعم إن صاحب المعمل هو صاحب القول في شؤونه وهو الوحيد الذي يُسأل عن عمل المعمل وغايته وله القول الفصل فيه. إذن فالمصدر الذي يتكلم عن الروح هو القرآن الكريم الذي هو منبع الحق ومعدن الحقائق.

نعم. إن القران الكريم هو شمس عالم المعنى وبه تتنور الأرواح وتنجو القلوب من الظلمات. وكما انه بديهي من أن الشمس تعطي ضوئها لجميع النباتات وبهذا الضوء تنمو هذه النباتات

كذلك فان القرآن الكريم الذي هو شمس عالمنا المعنوي يعطي لأرواح تابعيه الانكشاف ولعقولهم الاستقامة ولقلوبهم النور. وهو النور الذي يضيء الماضي والحاضر والأبد. وهو الذي أزال ظلمات الجاهلية المتراكمة على القلوب من الإنكار واليأس والغم. فعرفت العقول– التي دخلت تحت نور القرآن– سيدتها التي هي أرواحها وصدقتها إلى جانب انكشاف حقائق عديدة لها. وقد أثبتت تلك الشمس الأزلية وأظهرت وجود الروح للعقول السليمة وبقطعية لا ريب فيها.

بعد هذه التفاصيل نكتفي بعدد من الآيات الكريمة تخص الروح:

1– { وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ } (البقرة:**154**)

نفهم من هذه الآية الكريمة معنيين:

الأول: رغم عدم رؤيتنا موت الجسد. يقول الله تعالى لنا لا تقولوا ((أموات)). بمعنى إن هناك ماهية لا تموت مع موت الجسد وهي الروح.

الثاني: تبين الآية الكريمة بان كيفية تلك الحياة لا يعرفها إلاّ الذين يعيشونها.

وبهذه الآية الجليلة يبين الله تعالى لنا بوضوح وجود حياة حقيقية لا ندركها بعقولنا وشعورنا.

2– { وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ *فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } (آل عمران **169– 170**).

تخبرنا هذه الآيات عن وجود طبقة حياة أخرى وتحت عناية الله تعالى رغم موت الجسد. وان أهل هذه الطبقة من الحياة يُرزقون من نعيم الجنة بفرح وسرور. وبهذه الآية يبن لنا الحق سبحانه وتعالى بان الأرواح قائمة بذاتها ولا ترتبط بأجسادها وتبقى بعد موت الأجساد.

3– {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً } (النساء:**56**)

ففي هذه الآية الجليلة إشارة إلى مادة تفنى بالحرق وإلى حقيقة لا تفنى بالحرق. وان هذه الحقيقة هي الروح. فالروح ثابتة ولباسها– الذي هو الجسد– محكوم عليه الزوال. ونعلم جميعاً بأن جسدنا في تغيير مستمر منذ اللحظة التي خلقنا فيها، و تقابلها وجود حقيقة ثابتة لا تتغير أبداً. فإذا كان الحال هكذا في الحياة الدنيا، فكيف بها في الحياة الأخرى فان إنكارها من البلاهة، ومثل مَن ينكرها كمَن ينكر هذه الحياة.

4– { وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً } (الإسراء:**85**).

يتبين لنا في هذه الآية وجود الروح. وان ماهية هذه الروح وكيفيتها محجوبة عنا بأستار، وان

علمنا في هذا المجال جزئي قليل. الاعتقاد بوجودها أمر معقول. أما التعمق في ماهيتها فانه تهور والاشتغال به عبث.

5- {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ } (غافر:46).

فلو لم تكن هناك حقيقة ثابتة رغم موت الجسد وتفسخه فكيف إن آل فرعون يعرضون على النار؟.

6- {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي } (الفجر27-30).

في هذه الآية خطاب صريح وواضح إلى الروح. فلولا المخاطَب لم يكن الخطاب. والمطلوب من الروح هو الرضا والعبودية بينما لا يكون الطلب من ((لاشيء)).

7- {اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأخرى إِلى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (الزمر:42)

إن النفس التي قضى عليها الموت أو أرسلت إلى اجل مسمى في هذه الآية ليست سوى الروح.

وللرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة توضح معنى الروح. نسوق هنا قسماً منها.

بيّن الرسول الكريم ρ- كما هو شأنه في جميع المواضيع- بنور الوحي الإلهي الإيضاح الكامل في موضوع الروح. فأقواله ρ كما هو ثابت باتفاق العقول السليمة هي المصدر الأمين في جميع الحقائق الإلهية وجميع أسرار ماهيات الأشياء بعد القرآن الكريم. لأن الرسول الكريم ρوصل قاب قوسين أو أدنى. حيث اجتاز مراحل الإدراك التي لم يبلغها أي نبي من قبله ورأى يقيناً جميع الحقائق التي لم يشاهدها أي عارف بالله. حتى أن جبريل υ وقف عند حد واجتازه الرسول ρدون أن يزيغ بصره أو أن يطغى إلى أن وصل بين دائرة الإمكان والحدوث. وعلا إلى أفق الكمالات التي لم يبلغ إليها أي عارف قبله. ورأى المقامات العالية التي تدار منها جميع المكونات وسمع صرير أقلام كتابة مقدرات البشر.

لقد أرسل الله تعالى محمدا ρإلى العالمين لإرشادهم إلى طريق الحقيقة، وجعله نموذجاً للإنسانية جميعاً. وخصه من بين الأنبياء بالتفاتة كريمة من لدنه بجعله مظهراً لفيض كلي وشامل. لذا ينبغي علينا أن نصدّقه بكل ما ينطق به وكل ما ينطق به هو الحقيقة.

– (عن جابر بن عبدالله τ قال قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي اخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء. قال: يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره)[1].

– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ قالَ : قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ρ الأرواح جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ) [2].

– (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : إذا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا قَالَ حَمَّادٌ فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا وَذَكَرَ الْمِسْكَ قَالَ وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الأَرْضِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكِ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ فَيُنْطَلَقُ بِهِ إلى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَقُولُ انْطَلِقُوا بِهِ إلى آخِرِ الأَجَلِ قَالَ وَإِنَّ الْكَافِرَ إذا خَرَجَتْ رُوحُهُ قَالَ حَمَّادٌ وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا وَذَكَرَ لَعْنًا وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحٌ خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الأَرْضِ قَالَ فَيُقَالُ انْطَلِقُوا بِهِ إلى آخِرِ الأَجَلِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَيْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَى أَنْفِهِ هَكَذَا) [3].

– (عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلاثٍ الْكِبْرِ وَالْغُلُولِ وَالدَّيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ)[4].

– (وقالَ ابْنِ عَبَّاسٍ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إلى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَشْرَبِهِمْ وَمَأْكَلِهِمْ وَحُسْنَ مُنْقَلَبِهِمْ قَالُوا يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ بِمَا صَنَعَ اللَّهُ لَنَا لِئَلاَّ يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلاَ يَنْكُلُوا عَنْ الْحَرْبِ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلاءِ الآيَاتِ عَلَى رَسُولِهِ ρ{ ولاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ } رواه الإمام احمد [5].

* * *

(1) كشف الخفاء265/1) (شرح المواهب اللدنية 46/1

(2) صحيح مسلم / 2638

(3) رواه مسلم (2872)

(1) رواه الترمذي والإمام احمد .

(2) الروح لابن القيم ص55

علاقة الروح والجسد

ان الله الذي خلق روح الإنسان وجسده من ماهيتين مختلفتين قد وضع بينهما علاقة تحير العقول.

لهذا السبب فقد وهب الخالق الحكيم لروح الإنسان قابليات كثيرة مثل النطق والبيان والتفكر. أما جسده فقد جعله الله تعالى مهيأً لانكشاف هذه القابليات فمثلا إن الفم ماكنة كلام خارقة تقوم بترتيب الحروف وإخراجها على شكل كلمات وجمل وبذلك تعكس الأفكار إلى الخارج. فالعلاقة الموجودة بين الروح والجسد هي التي تحرك بشكل منتظم أجزاء ماكنة الفم المتكونة من شفاه وأسنان ولسان وأحبال صوتية.

وكما إن الخياط يقوم بتفصيل وخياطة الزي على حجم الإنسان، وان المهندس يصمم ويبني القصر بما يلائم ساكنيه. وكذلك فالحكيم المطلق (ولله مثل الأعلى) قد نسخ أجساد جميع ذوي الحياة ملائمة مع أرواحها وخلقها بأنسب الأشكال.

وكما إن الإنسان يبني العش للدواجن ويصنع الأقفاص لطيور الكناري وكذلك (ولله مثل الأعلى) إن الحكيم الكريم قد البس لأرواح الحيوانات أجساداً تلائمها تماماً وتستفيد منها. وكما أن هناك انسجاماً تاماً بين روح الأسد وبين قوة جسده وأنيابه الحادة فكذلك هناك انسجاماً لطيفاً بين روح البلبل المبهورة وبين جسده اللطيف وريشه الظريف وصوته العذب.

وبما أن حياة الإنسان هي اكمل طبقات الحياة فان علاقة الروح مع الجسد تظهر في الإنسان بأجمل أشكالها. فكل عضو فيه خُلق للروح في اجمل صورة وفي انسب شكل واليق موقع. وان كل عمل يقوم به الإنسان والفنون التي يتعلمها والكتب التي يؤلفها إنما هي ثمرة هذه العلاقة الخارقة بين

روحه وجسده. فمن روح العالِم تتقطر بقلمه كلمات موزونة وعلوم نافعة وفنون حكيمة تبلغه إلى سعادة الدنيا والآخرة.

نعم، إن الروح تمتلك قابليات عديدة. إلاّ إن هذه القابليات تظهر بوساطة الجسد الذي البس بهذه الروح فمثلا: إن اليد تظهر قابليات الروح المتعلقة بالكتابة أو أي عمل آخر تستخدم به اليد. فلو لم تكن اليد مهيأة لهذه الوظائف فكيف تنكشف هذه القابليات؟. فلو فرضنا إن روح الإنسان مع جميع قابليتها، أسكنت في جسد جَمَل فان هذه القابليات لن تنكشف وربما تموت لأن الجَمَل، وإن خطط بدماغه وفكّر بأشياء كثيرة، فانه لا يقرأ ولا يكتب ولا يجلس على طاولة المحاضرة ولا يظهر أية مهارة في أية صنعة.

نفهم من هذا كله إن الذي خلق الروح هو خالق الجسد أيضاً.

وفي الموضوع ذاته نتطرق إلى خاصية أخرى تتعلق بالروح والجسد وهي : كما إن الروح ليست داخلة في الجسد فهي كذلك ليست خارجة عنه. وكما إنها ليست ملتصقة به فإنها ليست منفصلة عنه. لأن دخول شيء ما والخروج منه هما من صفات المادة والجسمانية. أما الروح فهي جوهر مجرد من المادة ولطيفة ربانية. مثال على ذلك:

من المعلوم، كما إن الكهرباء عندما تتحول إلى الضوء في المصباح فإنها ليست داخلة في المصباح. كذلك فإنها ليست خارجة عنه، لأن ضوء الكهرباء هو الذي يظهر في المصباح. وإنها ليست داخلة فيه، لأن الكهرباء لا تبقى في زجاج المصباح عندما ينكسر المصباح.

مثال آخر: إن الطاقة الكهربائية في أي معمل هي التي تحرك جميع آلات ودواليب المعمل. وعند انقطاع هذه الطاقة عن المعمل فانه يتوقف حتماً. فالتيار الكهربائي لم يكن داخلاً في أجزاء المعمل. لأنه عند فحص هذه الأجزاء لن تظهر فيها الكهرباء ولكن، وبما إن الكهرباء التي تقوم بتشغيل المعمل فإنها ليست خارجة عنه أيضاً، لأنها هي التي تحرك المعمل؟.

ان الروح التي تدير الجسد بأكمله. وهي موجودة في كل مكان من الجسد. فلا تتجزأ ولا تنقسم. وهي تحرك اليد وتسيّر الرجل، وترى من نافذة العين، وتتكلم من اللسان. وتسمع من الأذن أي إنها تتصرف في جميع الأعضاء. وهي قائمة بذاتها ودائمية. فلو قطعتم أي عضو من الجسم. فان الروح لا تتضرر بذلك ولا ينقص منها شئ. حتى لو تعرض الجسد للفناء والعدم فان وجود الروح دائم وباق.

وان الروح لا تنقسم ولا تتجزأ وهي تدبر جسد الإنسان دون انقسام أو تجزئة. فليس لها في جسم الإنسان من قرب أو بعد، فهي تستجيب لجميع الحاجات في آن واحد، وتدير جميع الخلايا معاً وفي آن واحد. لنوضح هذه الحقيقة بمثال:

لو دخلتم خيالاً في خلية من خلايا الكبد. فسترون أن إدارة هذا المنزل الصغير هي كإدارة مدينة كبيرة. وعندما تسألون إحدى الذرات عن الذي يدير هذه المدينة وكيفية إدارتها فستتلقون هذا الجواب: ((في هذه المدينة أرى نظاماً مكملاً في جميع الأعمال وارى بكل إعجاب تلبية جميع الحاجيات ولكني لا أستطيع التفوه في حق السلطان الذي يدعى بـ (الروح) والذي يدير هذه المدينة الواسعة ودون خطأ أو تقصير.)). ولو أخذتم بيد هذه الذرة التي تظن أن دائرة تصرف الروح هي المنزل الصغير الضيق والمحاط بتلك الأسوار، وتجولتم معاً في جميع خلايا الجسم، فان إيمانها بوجود الروح التي تدير لوحدها هذا العالم الواسع الرحب ومعرفتها ومحبتها يزداد حتماً. وإذا كانت فطرتها لم تفسد بعد فإنها تتقبل كلامكم هذا برحابة الصدر : ((إن السلطان الوحيد لمملكة هذا الجسد وهو الروح حاضرة عند كل خلية ولكنها لا تتخذ أي خلية مقراً لها. فلا فرق لديها بين الأعضاء البعيدة والقريبة أو الأعضاء الصغيرة والكبيرة. لأنها تقوم بجميع الأعمال في آن واحد وتمد لجميع الطلبات في آن واحد. فالروح هي التي تدير كل عضو في هذه المدينة على حدة، وهي التي ترافق الجسد وتحركه إلى الجهة التي ترغبها وتجعله يسعى في العمل الذي ترغبه.))

* * *

خواص الروح

إدراك الروح للحوادث :

تسيطر الروح على الشعور والإدراك والاختصاص والإرادة. وتكتسب الروح قيمتها اعتبارها باتخاذها هذه الحواس كوسائل. لنوضح ذلك بمثال: لكي نشم رائحة معينة يمس الهواء الأنف. وان هذا التماس يضع تأثيراً في الأنف. فهذا التأثير هو الحس وفي الحال يصل الحس الحادث إلى الذهن بوساطة الأعصاب. ونقش الرائحة في الذهن وتسمى هذه العملية بالانطباع. ويعقب هذا الانطباع حصول العلم وهو كنتيجة تمييز الذهن للرائحة عن غيرها وتسمى هذه الحالة بالاختصاص. أما الإدراك فهو قيام العقل بتعيين مصدر الرائحة وبيان سببها. وتظهر المعرفة بقيام الروح بالبحث والتدقيق عن مصدر الرائحة وعن حقيقتها وصفاتها. ويسمى ترجيح أحد الشقين أي تقبّل الرائحة أو عدم تقبلها بـ (الإرادة). وهكذا سائر حواس الجسم كالبصر والسمع واللمس والذوق. إذن فان الحواس الخمسة تخدم الحس والأعصاب تخدم الاختصاص والدماغ يخدم الإدراك.

وان كيفية تكوّن الإدراك جدير بالإعجاب والدهشة، إذ كيف يظهر العلم والشعور في مركز الدماغ بحركة سريعة وخارقة في جسم الإنسان وكيف تنتقل الحركة الناتجة من الخلايا إلى الشعور في الدماغ وبدورها تعلم بها الروح وتظهر المعرفة ؟. فلا تستطيع الفلسفة ولا علم النفس من إيضاح هذه المسألة العجيبة كأعجوبة الروح. حيث توجد بين طيات هذه المسألة أسرار وحجب عظيمة يصعب حلها ويتشكل انكشافها.

وحدة الروح وعدم تجزئتها :

ان الروح واحدة وبسيطة، وليست مركبة. وبما أنها ليست مركبة فإنها لا تتجزأ ولا تتحلل ولا تبلى بتأثير الزمان والمكان والحوادث الخارجية. وهناك قوانين عديدة احتفظت بواحديتها وبساطتها منذ أن خلقت الكائنات ولم تتأثر فيها الحوادث كقانون الجاذبية. والروح كهذه القوانين وأمثالها تحتفظ بوجودها وتدوم إلى الأبد. حيث تعتبر أقوى من هذه القوانين؛ لأنها تمتلك الحياة. بل هي في أرقى مراتبها ؛ لأنها صاحبة إرادة. وهي مكمَّلة ؛ لأنها تمتلك إدراكاً. وهي عفيفة ؛ لأنها لطيفة. ولها قابلية جامعة وغنية؛ لأنها فهرستة الكائنات وحقيقتها وخلاصتها. وإنها تليق بالأبد وتشتاق لها؛ لأنها مرآة الصمدانية.

إذن فهذه الصفات هي التي تخبرنا عن وحدة الروح وعدم انقسامها. وحتى إنساناً عادياً لم يرتق فكره للكمال عندما يقول (أنا) فانه لا يقصد بها أعضاء جسمه كالعين والأذن والسن. بل انه يريد بها ماهية مجردة خارجة عن جسمانيته المادية. وهذه الماهية هي واحدة لا تتعدد. وان هذه الوحدة ثابتة عقلًا كما هي معروفة حساً ووجداناً.

وان حاكمية الروح على الجسد إنما تكون بوحدتها. ومن المعلوم أن أي إنسان عندما يريد استمرار حياته بصحة وسلامة ويسعى لجلب المنافع له ودرء المفاسد عنه إنما يكون ذلك بحاكميته على جسده. وهذا برهان باهر على وجود الروح. أي ان حياة الإنسان تدوم وتثمر عندما تكون جميع حواسه الظاهرة والباطنة تحت إمرة روح واحدة.

فالعين تكون بمثابة نافذة للروح. والأرجل تمشي إلى الاستقامة التي تريدها الروح والأذن تسمع على حساب الروح.

زبدة القول: إن جميع القوى والشهوات تدخل تحت إمرة الروح. وبالعكس عندما تتحرك كل قوة أو كل عضو على حده ولم تكن مساعيها وجهودها لحساب مركز واحد فان الجسد يغدو خراباً مهجوراً بينما الحقيقة هي: أن اليد عندما تمسك بشيء ما فإنها لا تمسكه لذاتها أو باسمها، والأرجل لا تمشي لذاتها. والعيون لا ترى لذاتها. وقس على ذلك بقية الحواس. وان جميع هذه الحواس تقدّم خدمات مفيدة بارتباطها مع مركز واحد وبتلقيها الأوامر من روح واحدة ومَن ينكر وجود الروح يلزم له قبول أرواح بعدد الذرات. وهنا نتذكر المثال الذي ضربه الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله:

((إن تجليات الشمس وانعكاساتها الضوئية، وبريق لمعانها المشاهَد على قطرات الماء الرقراقة المتلألئة، أو على القطع الزجاجية المتناثرة هنا وهناك على سطح الأرض، مما يخيل للناظر السطحي النظر أنها صور لشميسات مثالية. فان لم تنسب – هذه الانعكاسات واللمعات– إلى الشمس الحقيقية التي تطالعنا بشعائها يلزم الاعتقاد بشمس طبيعية فطرية صغيرة ظاهرية تملك صفات الشمس

نفسها وتتصف بخصائصها، موجودة– وجوداً فعلياً – في تلك القطعة الزجاجية الصغيرة – التي لا تسع لأدنى شيء– أي يلزم الاعتقاد بوجود شموس بعدد ذرات القطع الزجاجية.))[1].

وكما في هذا المثال، وفي حالة إنكار روح واحدة، لزم لكل خلية من خلايا الدماغ أو خلايا القلب القيام بجميع وظائف الروح. وعندئذ تقوم خلية واحدة من خلايا الدماغ بوظائف حاسة السمع والبصر والذوق والشم، وأحوال الإنسان من البهجة والحزن والإثارة والسكينة والتفكير والتخيل وفي آن واحد. وهذا بعيد عن العقل مئات المرات.

سعة الروح :

لسعة الروح وإحاطتها جهتان :

الأولى : تتكون من حواس باطنة والثانية من حواس ظاهرية. وتتسع الروح بحواسها الباطنة إلى درجة بحيث تبقى الكائنات إلى جانبها صغيرة وتصبح مظروفاً للروح. ((إن ميدان اشتغال الإنسان، ومساير جولان الهمة، أوسع من أن يُحاط به. فقد يجول في ذرة أو يسبح في قطرة، وينحبس في نقطة مع انه قد يضع العالم نصب عينيه، وقد يُدخل الكائنات في عقله حتى يتطاول إلى رؤية الواجب الوجود ومشاهدته))[2]. فتصبح الروح كمركز اتصالات تستقبل الأصداء من كل الجهات وتحاول حل المعميات الكبيرة كالكائنات والحياة والروح وتبحث عن منشأ العالم وسر الخلق.

أما بجهتها الثانية : أي بحواسها الظاهرية، تنفتح الروح إلى العالم الخارجي فتقف على الألوان بوساطة العيون وعلى الروائح بوساطة الأنف وعلى عالم الأصوات بوساطة الأذن وعلى الأذواق بوساطة اللسان. ويعبر بديع الزمان النورسي عما ذكرنا بقوله: ((العين حاسة تطل الروح منها على العالم))[3].لأن الروح تطالع كتاب الكائنات بوساطة العين وتبحث وتدقق فيه. فتصبح كمشاهد لتجليات صفات الله. وقد خلق الله العين بظرافة وزينها بالأهداب وحفظها بوساطة الأجفان. فالروح كستائر الليل تفتح وتسد هذه الأعضاء اللطيفة وتشاهد العالم وتتلذذ بلطافة الألوان. ومن جهة أخرى تصبح الروح مفتشاً ماهراً وشاكراً في مطبخ القدرة الصمدانية وخزائن الرحمة بوساطة حاسة الذوق في اللسان. وكما إن الوزراء يعينون السلطان في إقامة علاقات داخلية وخارجية له، فان الحواس والأعضاء تصبح وسائل في سعة تصرف الروح.

---

(1) اللمعات – اللمعة الثالثة والعشرون – رسالة الطبيعة ص275 لبديع الزمان سعيد النورسي .

(1) المثنوي العربي النوري ص188 لبديع الزمان سعيد النورسي

(2) الكلمات – الكلمة السادسة . ص23

الروح مصدر السرور والألم:

يأتي السرور والألم للإنسان من مصدرين. الأول : الآلام واللذات الجسمانية الواقعة بوساطة الحواس. والآخر : السرور والاضطرابات الروحية الواقعة من صفات الروح مثل الخيال والتصور والتفكر. وقد قيل: يبرأ الجرح السوء، ولا يبرأ الكلام السوء[1]

وكما قال الشاعر :

جراحات السنان لها التئام

ولا يلتأم ما جرح اللسان[2]

وقد عبر الشاعر هنا عن الآلام الجسمانية بـ (جراحات السنان) وعن الآلام الروحية بـ(جرح اللسان).

ولما كان الإنسان لا يتكون من مادة فحسب فانه يواجه آلاماً وأحزاناً وخوفاً ووداً. وبتأمل قليل منه يدرك بأن الآلام واللذات التي يُظن بأن الجسم يحس بها تعود إلى الروح. وبما أن الروح هي التي تحس بالألم واللذة عن طريق أي عضو من أعضاء الجسم فان الألم أو اللذة ينسبان لذلك العضو. وبخروج الروح من الجسد، لن تبقى فيه صفات أو حواس أمثال العلم والإرادة والشعور واللذة والقلق والخوف والمحبة. فجميع هذه الصفات من اللذات والآلام إنما تعود إلى الروح.

ويستطيع أي إنسان أن يميز بوجدانه الآلام واللذات الروحانية مثل اللذة والخوف والبهجة والمحبة والسعادة عن الآلام واللذات الجسمانية.

فلولا الروح لما اخذ الجسد نصيبه من الآلام واللذات. فجذور اللذة والألم هي في أعماق الروح.

نعم، ان السرور بعد مروره من مركز سيطرة العقل والمنطق ومن مصفاة الوجدان يقوم بترنيم أناشيد نجاح الروح وظفرها. ومثلما ان كل نصر كبير هو كلمات السرور للروح. فان السرور الكبير هو الحان النصر للروح. وتوجد في موقع ظهور السرور والبهجة صولة تقدّم، وكلما كان هذا التقدم رفيعاً كان المصدر الذي يخرج منه السرور عميقاً ومتأصلاً. ومثل ذلك الآلام والاضطرابات فإنها تسوق الروح إلى الكمالات وتصيفها وتنميها شرط التوكل والتسليم.

*** * ***

---

(3) زهر الأكم في الأمثال والحِكم / اليوسي 72/1

(3) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال / تأليف : أبو عبيد البكري – تحقيق : إحسان عباس 24/1

علاقة الروح مع العقل والوجدان

علاقة الروح مع العقل:

العقل هو مستشار الروح وبوساطته تسيطر الروح على الحواس والقوى أمثال الشهوية والغضبية والبهيمية: فتحطم إفراط هذه القوى وتفريطها، وتكسبها الاستقامة وبوساطة العقل تدفع الروح المفاسد وتجلب المنافع وتحمي الجسم وتصونه من مهالك الدنيا والآخرة. ونتيجة مشورتها مع العقل تحوّل القوى التي هي كسموم قاتلة ودساسة إلى ترياق واكسير. وتترجم القابليات غير المتناهية للشر والعصيان إلى طاعة وخير غير متناهية.

والروح تفتح خزائن الرحمة وكنوز الحكمة غير المتناهية في الكائنات وبذلك يجد الإنسان سبل السعادة الأبدية.

وهناك نقطة مهمة وهي: إن العقل لا يكون مرجعاً في كل المسائل. فلأجل إيجاد الحقائق والوصول إلى الله تعالى ينبغي له مراجعة الكتب الإلهية والدساتير الربانية والاستمداد من الكتاب والسنة. وإلاّ فان العقل يَضلّ ويُضلّ ويَزلّ ويُزلّ.

علاقة الروح مع الوجدان:

الوجدان هو قوة تمييز العقل. وان الروح تتحرك بتنظيم وتدبير العقل. والعقل يتحرك بتنظيم وتدبير الوجدان. ففي هذه الحالة تنتظم الأحوال المتعلقة بالعقل بوساطة الوجدان فالوجدان أشبه ما يكون بمحكمة التمييز فهو الذي يحكم في صحة أفعال وحركات العقل أو خطأها.

ويكون العقل مسؤولاً بأفكاره وتصرفاته تجاه الوجدان وان العقل الذي لا يأخذ على عاتقه مسؤولية مراجعة الوجدان يكون مغلوباً تجاه رغبات النفس دائماً، ويشترط في عروج الروح إلى عرش الكمالات، امتزاج العقل مع الوجدان.

ويحتاج الوجدان أيضاً إلى نور لرؤية الحقيقة. وهذا النور هو القرآن الكريم. وبهذا النور يصبح مرشداً صادقاً للروح.

ويقوم الوجدان في داخل الإنسان بوظيفة مشرف ومفتش وآمر معنوي. وهذه اللطيفة مكونة من مفاهيم مجردة عن المادة كالعدالة والاستقامة والغضب والظلم. وهي قوة عالمة وتعلم أنها عالمة. نعم أن العلم غير الذي يعلم انه يعلم. وعندما نتأمل قليلاً نسمع الخطاب الرباني الأزلي { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ }(الأعراف: 172) الموجه إلى أعماق أرواحنا وهذا الخطاب ينادي أسماع أرواحنا كل حين بـ {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ } (الحشر: 19).

ويقول بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) : « ان الوجدان لا ينسى الخالق مهما عطّل العقلُ نفسه وأهمل عمله، بل حتى لو أنكر نفسه فالوجدان يبصر الخالق ويراه. ويتأمل فيه ويتوجه إليه. والحدس– الذي هو سرعة انتقال في الفهم – يحرّكه دائماً.وكذا الإلهام – الذي هو الحدس المضاعف – ينورّه دوماً. والعشق الإلهي يسوقه ويدفعه دوما إلى معرفة الله تعالى، ذلك العشق المنبعث من تضاعف الشوق المتولد من تضاعف الرغبة الناشئة من تضاعف الميلان المغروز في الفطرة. فالانجذاب والجذبة المغروز في الفطرة ليس إلاّ من جاذب حقيقي »[1].

* * *

(1) المنوي العربي النوري / ص431

غاية الروح

غاية: هي ما لأجله وجود الشيء*. أو هي أحد أسباب وجود الشيء. أي إن أحد أسباب وجود الشيء هي الغايات المترتبة والثمار المرجوة من ذلك الشيء.

والغاية هي سبب تقويم الشيء وبقاءه فمثلاً لا تتساوى أهمية وقيمة مصنعين أحدهما ينتج أبر الخياطة والآخر يصنع عقولاً إلكترونية. فقيمة كل مصنع تتناسب مع رفعة غايته. ولكل شيء في الكون غاية، وهي سبب وجود ذلك الشيء. حيث تقاس قيمة كل شئ بغايته. وهذه الحقيقة هي قانون نافذ وشامل في جميع الموجودات.

والإنسان هو اكمل ثمرة لشجرة الكائنات وانفس نتيجة لها. وان إسراع جميع الموجودات لإمداد الإنسان وتمركز فوائدها فيه ترينا أن الغاية من خلق الكائنات هي الإنسان بل الأصح هي روح الإنسان. وحتى الكائنات فإنها تخدم الروح، بل جسد الإنسان أيضاً هو الآخر يخدم الروح. فإذا كانت الكائنات كالقصر فان الإنسان يعتبر كمنزل لها. وإذا كانت الأولى مسكناً لها فان الثاني رداء لها. وان الله تعالى خلق هذه الروح في كيفية أهلتها لتكون محل المعارف ومنبع الفضائل ومركز اتصالات مع العوالم الأخرى، ومُسخِراً لها كل شيء.

وان المسرات التي يشعرها الإنسان في روحه، والأفكار العالية التي تمر في ذهنه، والحقائق السامية المتولدة في قلبه تظهر لنا بان غاية الإنسانية الثمينة من جهة كيفيتها لابد أن تكون اكبر من الكائنات نفسها. فلا يمكن أن تكون الكائنات وما فيها هي الغاية المرجوة لروح الإنسان التي خلقت للبقاء والأبد ومتوجهة إليهما. وان أي افتراض من هذا القبيل يخالف قوانين ((الترقي)) و((التكامل)) لأن كل حقيقة في الكون إنما هي حامل بالتي تليها. فكما أن البذرة تحمل الشجرة

* التعريفات للجرجاني (المترجم)

في داخلها أو البيضة تحمل الفرخ، والسحاب يحمل المطر. فكذلك الروح فإنها تحمل حقيقة اكبر من نفسها ومن الكائنات وهذه الحقيقة هي الإيمان بالله واتخاذه سبحانه معبوداً حقيقياً والاستمداد منه وحده وذلك بانكشاف أسرار العبودية لروح الإنسان وتلك غاية الروح.

لنوضح ذلك بمثال: لو فرضنا إن للعقل الإلكتروني المصنوع في المعمل قابلية التفكير. فان هذا العقل ينظر– قبل كل شئ– إلى قابليته وكفاءته، فيفكر في الأهمية المعطاة له وفي صناعته الدقيقة وفي المصنع الضخم الذي يعمل لأجله: فيقول لنفسه: ((لابد أن تكون لي من وظيفة تجاه هذه التكاليف التي صرفت لأجلي، ولم أترَك حبلي على غاربي وان وجودي ليست غايتي، أي ان هذا المصنع لم يصنعني كي أكون ((أنا)). بل صنعني لأجل غايات مدونة في فهرستي.

وكذلك الإنسان– كما في المثال أعلاه– فانه نُسج في مصنع الكائنات بألف نقش ونقش. وألبِسَ في رأسه تاج العقل الذي يستطيع به معرفة وقياس جميع أجزاء الكائنات وزُيِّن صدره بأحاسيس دقيقة وأعضاء لطيفة. وله موقع ووزن يتميز بهما عن الآخرين في نظام الموجودات. فهو سلطان الأرض واشرف الموجودات وثمرة الكائنات.فلو تأمل هذا الآنيان في قابلياته الذاتية وفي أهميته في الكائنات وفي علاقاته مع الموجودات، أدرك حينئذ قائلاً : ((إنني احمل الأمانة التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها. ولي خاصية أتميز بها عن سائر الموجودات. إذ إنني أقدم جميع تسبيحات الموجودات وعباداتها بشعور وإدراك تامين إلى الحضرة الربانية. فلذلك خُلِقتُ.))

وبعد ذلك يتعمق اكثر فاكثر في تأمله مسطراً أفكاره وهو يقول :((وأكرمني ربي بموائد عظيمة وغنية بقوامها وجمالها ولطافتها وشكلها وطعمها ورائحتها.))

((ان ربي الرحيم قد جعل لي الدنيا مأوىً ومسكناً، وجعل لي الشمس والقمر سراجاً ونوراً، وجعل لي الربيع باقة وردٍ زاهية، وجعل لي الصيف مائدة نعمة، وجعل لي الحيوان خادماً ذليلاً، وأخيراً جعل لي النبات زينةً وأثاثاً وبهجةً لداري ومسكني))[1].

أما شعوري: فقد خُلِق في كيفية ووسعة بحيث يسع لفهم وإدراك هذه العوالم الضخمة والتجوال في طبقاتها الواسعة ويحمل قابلية بحيث يتجاوز بها الزمان والمكان ويحس بها الحقيقة المطلقة ما وراء هذا الكون الفسيح.

أما قلبي: فقد زُيِّن بألطف الحواس وارقها وزُكِّبَت فيه محبة تحيط بالكائنات، وشفقة تحتضن جميع المخلوقات.

أما حياتي: فـ ((إنها فهرس الغرائب التي تخص الأسماء الإلهية الحسنى..

(1) الكلمات / الكلمة الثالثة والعشرون 371

ومقياس مصغر لمعرفة الشؤون الإلهية وصفاتها الجليلة..

وميزان للعوالم التي في الكون..

ولائحة لمندرجات هذا العالم الكبير..

وخريطة لهذا الكون الواسع..

وفذلكة لكتاب الكون الكبير..

ومجموعة مفاتيح تفتح كنوز القدرة الإلهية الخفية..

وأحسن تقويمٍ للكمالات المبثوثة في الموجودات، والمنشورة على الأوقات والأزمان.))[1] .

نعم، ان الاستعدادات والخصائص الموجودة لديّ تُظهر بأني مخلوقٌ لأجل معنىً اكبر، ولمقصد أسمى. لذا فان الكائنات برمتها سُخّرَتْ لي. وان المصاريف التي صُرِفَتْ لأجلي والعناية التي شملتني إنما هي لأجل حملي غاية تليق بالإنسانية. فما دامت هذه الكائنات خادمة لي فإني لا اخدم مَن يخدمني. وان الكائنات فتحت حضنها لتحفظ لي حياتي وبقائها، ولِمَنْ افتح قلبي إذن؟ ولما كنت أنا خليفة الأرض. فمَن هو سلطان قلبي؟ وأنا تاج الكائنات فمَن هو تاج قلبي؟ وأنا غاية الكائنات فما هي غايتي أنا ؟.

نعم ان الحكيم المطلق الذي جعل الإلكترون يدور حول النواة لغاية معينة، لا يعقل أن يترك روح الإنسان دون غاية أو ثمرة.

وبمعرفة غاية الروح ينحل طلسم خلق الكائنات، فتتجلى حكمة البارئ سبحانه ورحمته وعنايته بكل لمعانها.

وتدل الآية الكريمة { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ } (الذريات:56) بأن غاية الروح هي العبادة والشكر وان الكائنات وما فيها هي وسائل وسبل لوصول الروح إلى تلك الغاية السامية فكلمة ((لِيَعْبُدُونِ)) تتضمن التسبيح والتحميد والتكبير. وفيها التعظيم والتوحيد والتهليل والذكر والفكر والشكر. ولكي تؤدي الروح هذه الوظائف جميعاً، فان الحكيم المطلق سبحانه خلقها كميزان حساس ومقياس حقيقي وخريطة مكملة ومرآة جامعة وتقويم جميل. وان الغاية القصوى من خلق هذه الروح في احسن تقويم هي: الفهم الجميل للجميل المطلق الجمال سبحانه والتعرف على كمال صفاته الجميلة. وأن تفنى بإرادتها الجزئية في أمر ومشيئة وإرادة الله الكلية.

لذا فالروح خُلِقت للقيام بهذه الوظائف العلوية بكمال القيام لتصبح مقياساً وميزاناً لشؤون وصفات وأسماء الله تعالى.

---

(1) الكلمات / الكلمة الحادية عشرة ص139

وبوسع الإنسان قراءة اسم (الحكيم) عند مشاهدته الحكمة والانتظام في خلق الأشياء. واسم (الرزاق) في إعاشة المخلوقات. واسمَيْ (العليم) و(القدير) في خلق الأشياء بعلم وقدرة. فيبلغ بجهده وهمته إلى تسعة وتسعون اسماً بل إلى ألف اسم واسم من الأسماء الإلهية الحسنى.

وبما انه لا يوجد اسم بدون مسمى ولا صفة بدون موصوف وبعدما قرأ وشاهد هذا الإنسان تجليات الأسماء الإلهية وصفاته على الكائنات، ازداد شوقاً لرؤية الذات الأقدس وجماله المطلق. فيظهر كل ما في وسعه من جهد ليكون مظهراً لرؤيته الأبدية سبحانه. فيعلم يقيناً بأن العبادة له وحده، وان الشكر يليق بشأنه وحده، والحمد يخص ألوهيته وحده، فيسلّم روحه وقلبه وجميع لطائفة لآمره تعالى في غاية الامتنان وفي حيرة ووجد يهزان العرش والفرش. ولنستمع لهذه الحقيقة من بديع الزمان النورسي (رحمه الله) وهو يقول:

((ان ماهية حياتي هي مخزن مفتاح كنوز الأسماء الإلهية.. وخريطة مصغرة لنقوشها البديعة.. وفهرس تجلياتها.. ومقياس دقيق وميزان حساس لوزن حقائق الكون الكبرى.. وكلمة حكيمة مكتوبة تَعرف وتُعرِّف وتَفهم وتُفهِّم الأسماء الجليلة القيمة للحي القيوم.))[1].

نعم،ان الرحيم الكريم الذي خلق الإنسان في فقر مطلق يضع أمام روحه لوحة عظيمة من الحمد والشكر بتربيته إياه في غاية الكرم والشفقة. وان القصد من إنعام الله على الإنسان هو اطلاع الروح على هذه المعاني القدسية ومعرفة الحق سبحانه بأسمائه وصفاته الحسنى أمثال المنعم والمحسن والمجمل والمفضل ومقابلتها بالمحبة لإحسانه سبحانه والشكر لنعمه والتودد لإكرامه.

وكذا فان القدير ذا الجلال بخلقه الإنسان في عجز مطلق قد وضع أمام نظر روحه لوحة تأمل واسعة ابتداء من تدبير خلية واحدة في الجسم إلى تنظيم السماوات والأرض، ودعاه سبحانه إلى تقديره وتحسينه وتكبيره وتبجيله وتعظيمه. حيث تُظهر وتُقرأ حقائق إلهية عديدة على هذه اللوحات أمثال الحكمة والعناية والعدالة والعلم والإرادة. وجُهزّت الروح بآلات وحواس وصفات عديدة تؤهلها لتكون مظهراً ومرآةً لإدراك هذه الحقائق. وان الله الذي خلق هذه الكائنات الجميلة لإظهار تجليات أسماءه الحسنى والذي يعتبر كل اسم منها في غاية الحسن والجمال، قد خلق الإنسان في ماهية تؤهله مقابلة جمال خالقه وجلاله وكماله بالتحسين والتقدير والتبجيل والتعظيم والتحميد.

فالغاية القصوى لهذا الإنسان هي : ((أن يفي بوظائفه المتطلعة إلى مقاصد لانهاية لها، وأن يُعلن عجزه وفقره بجنب الله تعالى بعبوديته، وأن يرى بنظره الواسع تسبيحات الموجودات، فيشهد على ذلك ويطّلع على ما تمده الرحمة الإلهية من أنعام وآلاء فيشكر الله عليها، وأن يعاين

---

(1) الشعاعات / الشعاع الرابع ص82 .

معجزات القدرة الربانية في هذه المصنوعات فيتفكر فيها ويتأمل وينظر إليها بنظر العبرة والإعجاب.))[1].

ونختم بحثنا هذا كذلك مع إيضاح لمؤلف رسائل النور (رحمه الله) وهو يقول: ((لقد علمتُ بجزيئات صفات كالعلم والسمع والبصر والإرادة التي تتصف بها حياتي الخاصة وأفعالي التي أؤديها بشعور، علمتُ بها – بنسبة صغري إلى عِظَم الكون – الصفات الكلية المحيطة لخالقي من علم وإرادة وسمع وبصر وحياة وقدرة وفهمت بها كذلك شؤونه الجليلة أمثال المحبة والغضب والرأفة والشفقة فآمنت بتلك الصفات والشؤون الجليلة وصدّقتُ بها وشهدتُ عليها ووجدت منها طريقاً آخر إلى معرفة الله.))[2]

إذن فغاية الروح هي الترقي وقطع المراتب في محبة الله، والعروج إلى الكمالات.

* * *

(2) الكلمات / الكلمة الثالثة والعشرون ص 367

(1) الشعاعات / الشعاع الرابع ص83

تكامل الروح

تتكامل الروح بالترقي في الخصال الرفيعة التي تمتلكها ؛ كالإيمان والعلم والعبادة والتفكر والتقوى والعمل الصالح. وسنقف بإيجاز على قسم من هذه الخصال:

التفكر:

هو قوة تفتح البصيرة وتساعد الإدراك على النمو بوساطة العلم والتجربة والفكر والمحاكمة العقلية. والتفكر هو التعمق في الإدراك في المحاكمة العقلية للحقائق الأنفسية والأفاقة، وفي مطالعة الحقائق الربانية المتجلية في الإنسان والكائنات. ويجد الإنسان بهذا التفكر منبع هذه الحقائق وأصلها فيزنها بميزان الإدراك. وان الروح التي اكتسبت خبرة في التفكر عن طريق المطالعة المستمرة تسير نحو عرش الكمالات.

وبالتفكر ينجو الإنسان من التقليد والسطحية. وبذلك يستطيع دفع كل أنواع الشكوك والوساوس التي تهاجمه.

وتعتبر المحاكمة العقلية والمنطق والحجج والبراهين بمثابة أركان وأجنحة وقوائم للتفكر. وبوساطة هذه الأركان يستطيع الإنسان الولوج إلى حقائق عديدة من باب حقيقة واحدة. فيستنبط من أساس واحد آلاف النتائج.ويصل من حقائق ثابتة ومعلومة إلى حقائق كانت مجهولة لديه. فتتولد في دمائه أفكاراً جديدة. وتفتح آفاقاً جديدة في عقله.

ونسوق هنا بعض الأمثلة حول الروح التي ارتقت إلى هذا المقام وكيف ترى الحقائق الثابتة في الكائنات:

من الحقائق القطعية الثابتة هي: ((لا يمكن وجود أية صنعة بدون صانع)) أي ان الحرف الواحد لابد له من كاتب والإبرة لابد لها من صانع. ولا يمكن الوقوف على أية صنعة دون أن نفكر في صانعها. وتصل الروح إلى هذه الحقيقة بالتفكر. وتعلم يقينا أن كل موجود في الكون يدل بوجوده على الصانع الحكيم. فترى الروح في ضوء هذه الحقيقة الموجِد الحقيقي من فعل إيجاد

هذه الكائنات. وتدرك أيضاً من معاني جليلة وشؤون إلهية أمثال الإكرام والإحسان واللطف المتجلية في الكائنات وجود الذات الكريم واللطيف والمحسن والمكرم– جلت صفاته–.

ويمكن رؤية الأفعال الإلهية الظاهرة على الكائنات أمثال التنظيم والتقدير والتزيين والإحياء والإماتة والذي يشير كل فعل منها إلى اسم من الأسماء الإلهية الحسنى. وذلك من خلال منظار هذا المثال:

حينما ينظر الإنسان إلى كلمة ما فانه يفهم بوجود كاتب لهذه الكلمة. وإذا ما نظر إلى كتاب ما فانه يدرك بأن كاتبه قد رتبه صحيفة صحيفة وسطراً سطرا. فيرى في كل جملة من جمله علم كاتبه ومهارته وقابليته وغايته ومقصده. ويفهم أيضاً ان هذا الكتاب يُريه علم كاتبه وقدرته وإرادته وشخصيته. ويدرك يقيناً بأن هذا الكتاب ظهر من تلك الصفات وان كاتبه موجود قبل وجود الكتاب. وبنفس النظرة ينظر الإنسان إلى الكائنات. فيعلم يقيناً بأن كتاب الكائنات هذا ظهر من صفات أمثال الإرادة والحياة والقدرة والعلم. وان الذات الأقدس – جل جلاله – الموصوف بهذه الصفات موجود قبل وجود كتاب الكائنات ويدرك بأن هذا العلم يُظهر كمال صانعه ومهارته ومعرفته وصفاته. فيرى معجزات صانعه الغير المحدودة ومهاراته التي لا تعد وينشرح لها.

مثال آخر: عندما ينظر الإنسان إلى معمل ما، فانه يفهم بأن هذا المعمل صُمم بميزان وتقدير ورتبت أجزاؤه بحكمة ومهارة ومتأملاً في الغايات التي يعمل المعمل لأجلها. وبعد مشاهدته هذا التوازن والانتظام في المعمل ينتقل ذهنه إلى معرفة علم صانعه وكمالاته الفائقة. وانطلاقاً من هذا المثال، ينظر هذا الإنسان إلى هذه الكائنات متأملاً ضخامتها وكمالها المثيرة للدهشة فيرى بإعجاب شديد عملها المنتظم رغم ضخامتها هذه ويشاهد بكل تقدير ان أجزاء المعمل ودواليبه تعمل كيد واحدة وان موقع كل منها ثابت فيقدّس ربه الأعلى قائلا (سبحان الله) ويشكره ويثني عليه بقوله (الحمد الله) ويعظمه ويبجله قائلا (الله اكبر). فيرى الكرامات والألطاف والإحسان الناتج من هذا المعمل ويتأمل رحمة ربه الواسعة وكرمه الواسع وغناه المطلق فيقول : ((ان الخالق الرحيم سبحانه يطلب من البشرية شكراً وحمداً إزاء ما أغدق عليها من النعم والآلاء.))[1] ويصدقه في ذلك وجدانه.

العلم والمعرفة :

(1) اللمعات / اللمعة التاسعة عشرة ص 212 .

ان معرفة الله هي اعظم علم تسمو به روح الإنسان إلى التكامل، وهي أساس كل الحقائق المنتخبة وكالنور الذي ينور العقول والقلوب، والفرقان بين الحق والباطل والفيصل بين الخير والشر، وبهذه المعرفة تتولد في الإنسان رغبةً وشوقاً في طلب الدنيا والآخرة، وتتكامل بها روحه، وان هذه المعرفة هي النور التي تتولد في القلوب وبها تظهر حقائق جميع الأشياء، وان معرفة الله هي من اشرف العلوم ولولا هذه المعرفة لنزلت لطائف الإنسان وحواسه كالعقل والقلب والروح من درجة الألماس إلى دركة قطع زجاجية عادية.

والفرد الذي لا نصيب له من هذه المعرفة الإلهية تكون كمالاته ناقصة حتى لو استوعب العلوم الأخرى. فكما ان صحة الجسد قائمة بالغذاء، فان صحة الروح والقلوب قائمة بمعرفة الله.

((اعلم يقينا ان أسمى غاية للخلق، واعظم نتيجة للفطرة الإنسانية.. هو ((الإيمان بالله)).واعلم ان أعلى مرتبة للإنسانية، وافضل مقام للبشرية.. هو ((معرفة الله)) التي في ذلك الإيمان.. واعلم ان أزهى سعادة للإنس والجن، وأحلى نعمة.. هو ((محبة الله)) النابعة من تلك المعرفة.. واعلم ان أصفى سرور لروح الإنسان وأنقى بهجة لقلبه.. هو ((اللذة الروحية)) المترشحة من تلك المحبة.

أجل: ان جميع أنواع السعادة الحقيقية، والسرور الخالص، والنعمة التي ما بعدها، واللذة التي لا تفوقها لذة، إنما هي في ((معرفة الله)).. في((محبة الله)). فلا سعادة، ولا مسرة، ولا نعمة حقاً بدونها.

فكل مَن عرف اللهَ تعالى حق المعرفة، وملأ قلبه من نور محبته سيكون أهلاً لسعادة لا تنتهي ولنعمة لا تنضب، ولأنوار وأسرار ولا تنفد، وسينالها إما فعلاً وواقعاً أو استعداداً وقابليةً. بينما الذي لا يعرف خالقه حق المعرفة ولا يكن له ما يليق من حب وود، يُصاب بشقاء مادي ومعنوي دائميين، ويظل يعاني من الآلام والأوهام ما لا يحصر.

نعم! هذا الإنسان اليائس الذي يتلوى ألماً من فقده مولاه وحاميه، ويضطرب من تفاهة حياته وعدم جدواها، وهو عاجز وضعيف بين جموع البشرية المنكودة.. ماذا يغنيه عما يعانيه ولو كان سلطان الدنيا كلها!!.

فما أشد بؤس هذا الإنسان المضطرب في دوامة حياة فانية زائلة وبين جموع سائبة من البشر إن لم يجد مولاه الحق، ولم يعرف مالكه وربه حق المعرفة ! ولكن لو وجد ربه وعرف مولاه ومالكه

لالتجأ إلى كنف رحمته الواسعة. واستند إلى جلال قدرته المطلقة.. ولتحولت له الدنيا الموحشة روضة مؤنسة، وسوق تجارة مربحة.))[1].

نعم، فكما ان لكل شئ مركزاً. فان للعلوم والمعارف مركزاً أيضاً. وهذا المركز هو معرفة الله. وبهذه المعرفة تحيا العلوم الأخرى وتكسب الأبدية. وكل علم لا يرتبط بهذا المركز ولا موقع له في هذه المعرفة فهو لاشيء ولا يتجاوز الوهم. وان ترقي وكمال العلوم والفنون المدنية بمعناها الحقيقي رهن بمخالفة هذه العلوم للمعرفة الإلهية وبما تظهرها من المعرفة. وإلاّ فان هذه الحقائق الثمينة تبقى بدون نتيجة ومجرد خيال.

من المعلوم ان كل عزة إن لم تتقوى بالعلم والمعرفة فان نهايتها الحتمية هي الذلة. فكما ان الشمس تساعد في أن تظهر الأرض كحلة خضراء، فان العلم والمعرفة تجعلان القلب والحواس والوجدان ربيعاً اخضر. والعلم الحقيقي هو العلم الذي يهب الحياة لهذه الحواس. وبإحياء هذه الحواس ونموها يصل الإنسان إلى الحقيقة، فتتفتح بصيرته وبذلك يستطيع رؤية الحقائق الثابتة في الكائنات. وبتفكره في هذه الحقائق يتوصل إلى معرفة الله. وهكذا تتفتح أمامه أبواب حقائق عظيمة أمثال الرسالة والنبوة والحشر.

العبادة:

هي تعظيم المعبود بحق الذي هو الله Ψ وتكبيره وتسبيحه وتحميده. والعبادة هي سجود العبد في الحضرة الإلهية بمحبة وشوق مُظهراً عجزه وفقره إزاء كمال ربوبيته سبحانه. أي رؤية عظمة الله تعالى في إذلال نفسه، وجعل ذلته مرآةً لعزة الربوبية. وهذه الحالة هي اعظم عزة لوجدان البشر. اجل ان العبادة الحقيقية هي التجاء العبد بعجزه المطلق إلى قدرة الله المطلقة. والعبادة هي كسب رضا الله تعالى وذلك بالاجتناب عن اقل حركة تنافي عظمته تعالى، وإظهار ذله أمام عزته. والعبادة هي طاعة ذات شعور يتوجه بها الإنسان بجسده وروحه وظاهره وباطنه. وهي الوثيقة وسند الانتساب إلى الله الملك القدوس.

وعندما يقوم العبد بأداء وظيفة عبوديته لله تعالى يتجرد من أنانيته تماماً، ويسجد بكل أدب وخشوع لمعبوده Ψ، والقيام بمثل هذه العبادة تجعل أسمى محبة تتحد مع اكبر خوف في نقطة واحدة في روح الإنسان. وتجعل الإنسان يحمل في ظاهره وفي باطنه معاً تعظيماً مع غاية الذلة. فتطمئن قلبه وتسمو روحه.

(1) المكتوبات / المكتوب العشرون ص283 .

ويكسب الإنسان في ظل العبادة خبرة يستطيع تقييم جميع الحوادث بميزان القرآن الكريم. وبهذه العبادة يحرز الإنسان الاستقامة في حركاته وأحواله الدنيوية والأخروية فهي تعلمه بأن أعماله الدنيوية هي وسيلة لنيل حياة أبدية. وتبعده عن أمور لا تعنيه وتشغله بحقائق سامية.

والعبادة تجعل الإنسان يميز الحلال من الحرام، وتقوّمه على أسس سليمة وبذلك ينال الإنسان في حياته الشخصية والاجتماعية الأمن والسلامة والطمأنينة.

والعبادة تعلّم الإنسان محبة الله وتلقي في قلبه محبة رسول الله ρ، ولا تجعل الوقت يمر سدىً والعمر هباءً منثوراً. والعبادة هي الصراط المستقيم الذي يوصل العبد إلى الله سبحانه لنيل رضاه. وان أسمى كمالات الروح هو الظفر بهذا الرضى، أي ان العبادة هي إحدى الشروط لنيل رضى الله والوصول إلى السعادة الأبدية. وقد بُشّر الإنسان المؤمن الذي يؤدي الصلوات في أوقاتها بأن جميع أعماله الدنيوية الداخلة في نطاق الشريعة هي بحكم عبادة له. وعلاوة على ذلك أن له بشارة أخرى وهي ان بكل كلمة طيبة تنطقه في صلاته أو خارجها مثل (سبحان الله، الحمد الله، ولا إله إلا الله، والله اكبر..) يُخلق الله له منها ملائكة تستغفر له إلى الأبد.

ويلخص لنا الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) الذي ظل دؤوباً في دعوة الناس إلى التقوى والعمل الصالح بعزم ثابت وإخلاص تام، معنى العبادة وأهميتها بقوله:

((ان العبادة هي التي ترسخ العقائد وتصيرها حالاً وملكةً، إذ الأمور الوجدانية والعقلية إن لم تنمّها وتربها العبادة– التي هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي – تكن آثارها وتأثيراتها ضعيفة. والعبادة سبب لسعادة الدارين.. وسبب لتنظيم المعاش والمعاد.. وسبب للكمال الشخصي والنوعي.. وهي النسبة الشريفة العالية بين العبد وخالقه.

وان العبادة هي لتوجيه الأفكار إلى الصانع الحكيم. والتوجه لتأسيس الانقياد. والانقياد للإيصال إلى الانتظام الأكمل والارتباط به واتباع النظام لتحقيق سر الحكمة. والحكمة يشهد عليها إتقان الصنع في الكائنات.

ان الإنسان كالشجر الذي علّق على ذروته كثير من خطوط الآلة البرقية، قد التفت على رأسه رؤوس نظامات الخلقة، وامتدت مشرعة إليه قوانين الفطرة، وانعكست متمركزة فيه أشعة النواميس الإلهية في الكائنات. فلا بد للبشر أن يتممها ويربطها وينتسب إليها ويتشبث بأذيالها ليسري بالجريان العمومي حتى لايزلق ولا يطرد ولا يلقى عن ظهر هذه الدواليب المتحركة في الطبقات. وما هي إلاّ بالعبادة التي هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي.

ان الإنسان المسلم له مناسبات ثابتة وارتباط قوي مع كل المسلمين. وهما سببان لاخوة راسخة ومحبة حقيقية بسبب العقائد الإيمانية والملكات الإسلامية. أما سبب ظهور تلك العقائد وتأثيرها وصيرورتها ملكة راسخة فإنما هي العبادة.

فالعبادة هي السبب لانبساط روحه وجلاء قيمته.. وأيضاً هي العلة لانكشاف استعداده ونموه ليناسب السعادة الأبدية. وكذا هي الذريعة لتهذيب ميوله ونزاهتها.. وهي الوسيلة لتحقيق آماله وجعلها مثمرة ريانة.. وكذلك هي الواسطة لتنظيم أفكاره وربطها.. وأيضاً هي السبب لتحديد قواه والجامها.. وأيضاً هي الصيقل لرَيْن الطبيعة على أعضائه المادية والمعنوية التي كل منها كأنه منفذ إلى عالم مخصوص ونوع إذا شف.. وأيضاً هي الموصل للبشر إلى شرفه اللائق وكماله المقدر.. إذا كانت بالوجدان والعقل والقلب والقالب..

وكذلك هي النسبة اللطيفة العالية، والمناسبة الشريفة الغالية بين العبد والمعبود. وتلك النسبة هي نهاية مراتب كمال البشر.))[1].

محبة الله ومخافة الله:

ان المحبة والخوف غُرِزا في فطرة الإنسان. وان سر وحكمة منحها للإنسان هو لحب الله والخوف والرجاء منه سبحانه خوفاً يليق بذاته الأقدس.

ولكي يتحقق النظام في المجموعة الشمسية والحصول على النتيجة المرجوة من هذا النظام، يلزم على القوى الجاذبة والدافعة الارتباط مع مركز واحد. وكذلك روح الإنسان، فانه لا تترقى إلى الكمالات التي تشتاق إليها بانتظام وانسجام إلاّ بارتباط شعور المحبة والخوف لدى هذا الإنسان مع الله سبحانه.

((لقد جُبِل هذا الإنسان على محبة غير متناهية لخالق الكون، وذلك لأن الفطرة البشرية تكُنّ حياً للجمال، ووداً للكمال، وافتناناً بالإحسان، وتتزايد تلك المحبة بحسب درجات الجمال والكمال والإحسان حتى تصل إلى أقصى درجات العشق ومنتهاه))[2].

((فما دامت الفطرة البشرية تملك استعداداً غير محدود للمحبة تجاه الإحسان والجمال والكمال.. وان لخالق الكون جمالاً مقدّساً غير متناهٍ، ثبوته متحقق بداهة بآثاره الظاهرة في الكائنات.. وان له كمالاً قدسياً لا حدود له، ثبوته محقق ضرورة بنقوش صنعته الظاهر في هذه

(1) إشارات الإعجاز / ص147-149 .

(2) اللمعات / اللمعة الحادية عشرة ص91 .

الموجودات.. وان له إحساناً غير محدود ثابت الموجود يقيناً، يمكن لمسه ومشاهدته ضمن إنعامه وآلائه الظاهرة في جميع أنواع الأحياء.. ولابد انه سبحانه يطلب محبة لا حدّ لها من الإنسان الذي هو اجمع ذوي الشعور صفة، وأكثرهم حاجة، وأعظمهم تفكراً، أشدهم شوقاً إليه))[1].

ويلزم على الإنسان أيضاً أن يخاف الله، وذلك كما انه سبحانه رحمن ورحيم، فانه كذلك قهار وجبار وعزيز وجليل فمَن يمس عزة جلاله سبحانه فان مصيره نار جهنم. نعم ان لمالك هذه الكائنات المهيبة لابد من عقاب شديد لمَن يعصيه.

وان المحبة والخوف في الإنسان تثمران التقوى والعمل الصالح الذين يعتبران من الأسس العظيمة لترقي وسمو هذا الإنسان.

نعم ان الإنسان ينال مرتبة الرضا بمحبته لله وخوفه منه وطاعته له سبحانه.

والأستاذ بديع الزمان النورسي (رحمه الله) يفصل لنا تكلما الصفتين ؛ الخوف والمحبة في الإنسان بأسلوب وجيز :

((لقد أودع الله سبحانه جهازين في فطرة الإنسان، ليكونا وسيلتين للخوف وللمحبة، وتلك المحبة والخوف إما سيتوجهان إلى الخلق أو إلى الخالق. علماً ان الخوف من الخلق بلية أليمة، والمحبة المتوجهة نحوه أيضاً مصيبة منغصة : إذ انك أيها الإنسان تخاف من لا يرحمك، أو لا يسمع استرحامك. فالخوف إذا في هذه الحالة بلاء اليم..

بمعنى: ان ما تحبه من أشياء إما إنها لا تعرفك أو يحقّرك أو لا يرافقك بل يفارقك، بل يفارقك وأنفك راغم.

فما دام الأمر هكذا : فاصرف هذه المحبة والخوف إلى مَن يجعل خوفك تذللاً لذيذاً ومحبتك سعادة بلا ذلة.

نعم! ان الخوف من الخالق الجليل يعني وجدان سبيل إلى رأفته ورحمته تعالى للالتجاء إليه. فالخوف بهذا الاعتبار هو سوط تشويق يدفع الإنسان إلى حضن رحمته تعالى. إذ من المعلوم ان الوالدة تخوّف طفلها لتضمه إلى صدرها. فذلك الخوف لذيذ جداً لذلك الطفل لأنه يجذب ويدفع الطفل إلى صدر الحنان والعطف. علماً أن شفقة الوالدات كلهن ما هي إلاّ لمعة من لمعات الرحمة الإلهية. بمعنى ان في الخوف من الله لذة عظيمة. فلئن كان للخوف من الله لذة إلى هذا الحد، فكيف بمحبة الله سبحانه، ألاَ يفهم كم من اللذائذ غير المتناهية فيها.

ثم ان الذي يخاف من الله ينجو من الخوف من الآخرين. ذلك الخوف المليء بالقساوة والبلايا.

---

(3) المصر نفسه / ص91

ثم ان المحبة التي يوليها الإنسان إلى المخلوقات إن كانت في سبيل الله لا تكون مشوبة بألم الفراق.))[1].

وبقي أن أقول، ان المحبة والخوف هما عنصران مهمان في الحياة الاجتماعية. وتسيران معاً وبانتظام. بل هما أساس الانتظام ومفتاح النظام في إدارة جميع طبقات الحياة الاجتماعية، ابتداءً من إدارة بيت صغير إلى إدارة قرية ومدينة ومملكة. وتتحقق هذه الإدارة في الحياة الاجتماعية بالاحترام والشفقة والإطاعة بين الناس. وبمخافة الله تتقوم الميول تجاه أشياء غير مشروعة.

الحق والعدالة والعلم والفن

قائمة بوجود الروح

ان جميع الحقوق ومنها– حق الله وحقوق العباد – إنما هي قائمة بوجود الروح. وبإنكار الروح لا تبقى أية مسؤولية حقوقية بين الأفراد.

ومن المعلوم، ان جسد الإنسان يتبدل كلياً بعد مرور فترة معينة من عمره. لذا فان إنكار الروح يولّد مشاكل معقدة لا يمكن الفكاك منها.

فمثلًا : لو فرضنا أن قاضياً قد حكم على شخص جان بالسجن مدة ثلاثين سنة. وبعد أن قضى هذا الشخص مدة من سجنه وتبدلت خلالها ذرات جسده بأكملها يستطيع أن يقول : ((إن جسداً قبل هذا الجسد قد ارتكب الجناية. فلا ذنب لهذا الجسد الماثل أمامكم وينبغي براءته)). أما الحاكم فلا يجد قولًا ليقابل هذا الادعاء ويطبّق عدالته. ولأنه هو أيضاً ليس بالحاكم القديم. ففي هذه الحالة لا تبقى أي نقطة استناد للمؤسسات العدلية في إحقاق الحق والعدالة.

ومن جهة أخرى، تتضرر الروابط المادية والمعنوية معاً بإنكار الروح. أمثال الاخوة والنكاح والمحارم وغيرها. فلا يبقى لمفهوم العائلة أي معنى. وذلك لأن جميع هذه الروابط والمعاني قائمة بوجود الروح. وتثبت هذه القيم بوجودها. فلولا الروح لبرز تجاه الزوجين بعد تغيير ذرات جسدهما بأكملها شخصين مختلفين تماماً عنهما. وبذلك تختل الروابط الزوجية التي كانت تربطهما معاً. وكذلك فلولا الروح لتفتت روابط الاخوة بين أفراد الآسرة الواحدة. فمثلا: بعدما تغيرت ذرات جسد أخوين بأكملها يظهر شخصين مختلفين تماماً عن سابقهما. ففي هذه الأثناء فان ذرات جسد قد تغيرت أيضاً واصبحا شخصين مختلفين. عندئذ لا يمكن القول لهذين الشخصين بأنهما (أخوين) وهذه الحالة تسري في جميع الأقارب.

إذن فجميع أنواع الحقوق ومعاني الاخوة والعائلة والمحارم إنما هي قائمة بوجود الروح.

---

(1) الكلمات / الكلمة الرابعة والعشرون ص411 .

ولا يمكن مخاطبة الجسد المجرد عن العبادة والإيمان وحتى عن العلم والفن. فهذه المعاني إنما تعود إلى الروح.

ولو فرضنا ان الجسد يمتلك هذه المفاهيم وليست الروح. فان الذرات المنسلخة من الجسد تأخذ معها هذه المفاهيم والمعاني. فتصبح الذرات الجديدة التي حلت محل الذرات القديمة جاهلة لا تعرف عن هذه المفاهيم شيئاً. ففي هذه الحالة لا يمكن الخوض في الكلام عن الترقي في البشرية.

* * *

التناسخ*

يُطلق التناسخ على الاعتقاد الباطل الذي يقبل بانتقال الأرواح من جسد إلى آخر. وتعتبر الأجساد – في ضوء هذا الاعتقاد الباطل – بمثابة قوالب للأرواح، فتنتقل الروح من قالب إلى آخر ومن جسد إلى جسد. ومن ثم تنتقل بعد تركها لجسدها الأخير إلى جسد أي حيوان يعيش في البر والبحر والجو، ومنه تنتقل إلى حيوان آخر ومنه تعود إلى جسد إنسان آخر، وهكذا تدوم حياتها بانتقالها بين الأجساد. حتى ان أقواماً بدائيون كانوا يعتقدون ان روح الإنسان في بداية أمرها تنتقل إلى المعادن ومن ثم إلى النباتات ومنها إلى الإنسان وبذلك تتكون دورة مستمرة بانتقالها من جسد إلى آخر. وحاول فيثاغورس[1] وضع عبارته التالية : ((تنتقل الروح من جسد إلى آخر عندما تتغلب على المادة)) في إطار نظرية فلسفية. فتلقت هذه النظرية قبولاً من قبل الناس البسطاء فكرياً حتى بداية القرون الأولى. فانحرفوا بذلك ظناً منهم ان رغبة البقاء الأبدية الموجودة في فطرتهم تسكن وتطمئن بهذه النظرية. وذلك إما لعدم إيمانهم بالكتب السماوية أو بعدهم عن رسالات الأنبياء (عليهم السلام) أو لعدم استيعاب عقولهم الضيقة بوجود المنازل الأبدية الخالدة لله سبحانه في الدار الآخرة.

وبمرور الزمن البس هذا الاعتقاد طابعاً فلسفياً.

تاريخ التناسخ:

---

* التناسخ : عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر، من غير تخلل زمان بين التعلقين، للتعشق الذاتي بين الروح والجسد.

(التعريفات للجرجاني)

(1) فيثاغورس : (582 – 507 ق . م) فيلسوف يوناني ولد في ساموس . أسس جماعة دينية في كروتونا كانت تؤمن يتناسخ الأرواح . وضرورة الحياة المطهرة من الشهوة .

(الموسوعة العربية الميسرة 2/1342)

هناك آراء عديدة حول مكان ظهور التناسخ لأول مرة. ويشير قسم من المصادر إلى أن هذه النظرية ظهرت في مصر القديمة. وإلى هذا ذهب المؤرخ هيرودوت. وكان الاعتقاد آنذاك بأن روح الإنسان الميت تنتقل إلى جسد الحيوانات ولاسيما جسد الطيور والثعابين لتستمر حياتها. وكان المصريون القدماء يؤمنون بخروج روح الإنسان عقب وفاته وانتقالها إلى جسد حيوان ومن ثم عودتها إلى جسد إنسان آخر بعد دخولها في أجساد الحيوانات في البر البحر والجو. وكان بناء الأهرامات في عصر الفراعنة بوحي من هذه الخرافة.

واستناد إلى قسم من المصادر فان هذه السفسطة القديمة انتقلت إلى اليونان بوساطة فيثاغورس الذي كان يدرس في مصر، ومنها انتقلت إلى الدول الغربية.

أما في الشرق فان فكرة التناسخ ظهرت في الهند بشكل واسع. وكانت أقوام المناطق الحارة الواقعة على ضفاف نهري الكانج والسند على اعتقاد بان روح الإنسان بعد موته تستمر في أجساد الطيور.

وعندما نلقي نظرة إلى تاريخ الأديان تظهر لنا أن هذه الخرافة قبل ظهورها في الهند ومصر، كانت سائدة عند أقوام بدائية كانوا يؤمنون بآلهة عديدة. ونجد أيضاً آثار هذه فكرة عند الطوطمية [1] .

وكان الإنسان القديم يعتقد بان روح الإنسان لا تنتقل إلى إنسان آخر فحسب. بل إلى الحيوانات والنباتات أيضاً. ولذا أطلق على انتقال الروح من جسد إنسان إلى جسد إنسان آخر بـ ((النسخ)) وعلى انتقالها من جسد إنسان إلى جسد حيوان بـ((المسخ)) وعلى انتقالها إلى النباتات بـ ((الرسخ)). وعلى انتقالها إلى المعادن والجمادات بـ ((الفسخ)).

وظهرت هذه الخرافة بأشكال متعددة في اليونان القديم وفي مصر والهند والصين وإيران. فمثلا ان فكرة التناسخ كانت هي السائدة في الهند، بحيث شملت جميع الموجودات. وعند البوذية والبراهمة تحولت هذه الفكرة إلى شكل باطني وخفي. وفي النهاية ظهرت بهذا الاعتقاد : ((تبلغ

---

(1) الطوطمية : طوطم : حيوان يرتبط باسم العشيرة عند الشعوب البدائية وبخاصة أهالي استراليا الأصليين . ويعتبر لحمه محرماً على أفرادها الذين يعتقدون انهم انحدروا منه ، ويحملون لذلك اسمه (مثل عشيرة القنغر) ولذلك فانه يجب عليهم القيام نحوه بشعائر وطقوس معينة في مواسم خاصة . وبعض العشائر تتخذ طوطمها من النباتات أو من الكائنات المادية أو حتى (وهو نادر) من الظاهرات الطبيعية . ويحرم النظام الطوطمي قيام صلات جنسية بين أفراد الطوطم الواحد لانهم اخوة وأخوات لانحدارهم من طوطم واحد . ولذا كان الزواج الداخلي محرماً . وينتشر النظام الطوطمي في استراليا وميلانيزيا وشمال أمريكا ، ولا توجد نظرية واحدة مقبولة تماما عن اصل هذا النظام .

(الموسوعة العربية الميسرة 2/1166)

الأرواح الطاهرة والبريئة إلى نيروانا. أما الأرواح المذنبة العاصية فإنها تتجول في أجساد الحيوانات حتى تتطهر من ذنوبها)).

أما المصريون القدماء، فقد اعتقدوا بان التناسخ يكون بانتقال روح الإنسان إلى الحيوانات ومن ثم عودتها إلى إنسان آخر.

وفي اليونان القديمة، وحسب علمنا من تاريخ الفلسفة، كان فيثاغورس وأفلاطون هما في مقدمة الذين حاولوا تلبيس زي الفلسفة على فكرة التناسخ. ومن بعدهما اتباع أفلاطون الجدد.

وان هذه الفكرة القديمة التي ظهرت بشكل بدائي في مصر قد أخذت شكلاً باطنياً في الهند، وألبِسَتْ لباساً فلسفياً في اليونان، وأما في إيران فقد أعطيَ لهذا الاعتقاد الباطل زخرفاً دينياً ومذهباً أخلاقياً. وحازت هذه الفكرة على مؤيدين من طوائف دينية كالزرادشتية والمزدكية. وكما وجدت هذه الفلسفة الباطلة– التي أتت قديما من إيران– موطأ قدم لدى قسم من غلاة الشيعة وذلك تحت ستار التشيع. ويأخذ الإنسان الأسى عندما يرى مَن يؤمن بهذه السفسطة في عصرنا هذا عصر العلم والفن والفكر!.وان هؤلاء إنما يعيشون خيالاً في العصور الأولى وهم تحت وطأة دوامة هذا العصر.

والظاهر، ان هذا الاعتقاد الذي ساد في اليونان القديم والهند ومصر وغيرها من البلدان في ذلك الوقت قد فقد تأثيره وأهميته بمرور الزمن، ولا سيما بانتشار الإسلام حيث مسحه نهائياً من الأفكار.

لكن هناك مَن يريد عرض هذه السفسطة من جديد في عصرنا الحاضر. وفي مقدمتهم الفرنسي كارلس فورييه **Charles Fourrier** وبيير ليروى **Pierre Lerou** وهما من المتشددين الاشتراكيين الذي لا يؤمنون بالروح حسب اعتقادهم الباطل. فالتفوا حول فكرة التناسخ هذه وذلك بقصد الضرر بالإيمان بالآخرة المذكور في الأديان السمأوية. ومهدوا لفكرتهم تلك قواعد وأسس أولية. أما اليوم فان المتعلقين بهذه الخرافة هم وحدهم يشيعون هذه الخرافة ويعلنونها بين الناس.

دلائل داحضة لدعوة التناسخ :

لا توجد لفكرة التناسخ التي تعادي أسس وعقائد جميع الأديان السمأوية أية نقطة استناد علمي. وان عدد الذين يدعون إلى هذه الفكرة ضئيل جداً يكاد لا يدخل ضمن الإحصائيات الموجودة في سكان العالم.

وقبل الدخول في تفاصيل الأدلة التي تدحض هذه الفكرة نشير إلى :

ان كل فرد وكل مخلوق في الكائنات من النجوم إلى الذرات إنما هو تحت تصرف وحاكمية إرادة مطلقة وعلم محيط وقدرة جليلة. وهو من آثار نظام كامل. أي ان جميع الموجودات يظهر إلى الوجود ويرحل بتدبير الله وتنظيمه، ويقوم بوظائفه بإرادة الله تعالى وعلمه المطلقين. فالشموس الضخمة والمجرات الواسعة العظيمة بعملها وحركاتها المنتظمة التي خلقها الله والتي لا تخرج من محورها طرفة عين، ترينا أن الأرواح والأجساد ليست حرة طليقة تتجول كيفما تشاء، ولا تخالف هذا النظام البديع. وان فكرة التناسخ التي تفصل الروح عن هذا النظام، تخالف تماماً الحكمة الإلهية. وهي افتراء كبير للصفات القدسية لله سبحانه أمثال اللطف والكرم والإحسان والعناية.

نعم ان حكمة الله ورحمته تفند هذه الخرافة القبيحة، فهل من الممكن الإلهية التي جعلت هذا الإنسان خليفة الأرض وسلطان الكون وسخرت له السماوات والأرض وخلقته في فطرة سامية بحيث اصبح خلاصة هذا الكون وثمرته، وأبدعته في صورة كاملة، وفي استعداد جامع وواسع، أن تسقط هذه الروح التي تحمل هذه الماهية إلى آلاف الدركات وتنقلها بين أجساد الفئران والكلاب والثعابين... والأقبح من كل هذا في أجساد القردة ؟ وهل تسمح بذلك عدالة الله وحكمته ورحمته وشفقته ولطفه وإحسانه ؟ وهل تليق هذه الأفعال بعظمة الحكيم الجليل ؟ كلا وحاشا.

ولقد أولى ديننا الحنيف اهتماماً كبيراً بالإنسان، حيث نهى أن تداس القبور[1]. فالحق سبحانه الذي لم يسمح بدهس العظام في المقابر ولا التراب المضيف لهذا العظام، كيف يسمح بأجساد الحيوانات أن تحمل روح الإنسان ؟ وان الإنسان ليجيش غضباً عندما يقال له ((كلب)).

فهل يسمح الحق سبحانه أن تدخل روح هذا الإنسان في جسد كلب ويربطه في باب ولده؟ وهل يسمح سبحانه بأن تدخل روح هذا الإنسان في جسد حمار ويحمل ابنه على ظهره ؟ وهل يُطلق على مَن يصدّق بهذه السفسطة الشنيعة بأنه ((إنسان))؟

ومن ثم فان دعوة التناسخ تخالف وعد الله سبحانه. لأن أوامر الله ونواهيه تقتضيان تحقق هذا الوعد. وبما انه سبحانه قد وعد المؤمنين بالجنة، فانه سيفي بوعده، وسيعاقب الأشرار والجاحدين لألوهيته، والكفار والمنافقين بعذاب خالد، والمنافقون دعاة التناسخ بعذاب أليم.

ومن ثم ان فكرة التناسخ لا تتوافق وإرسال الرسل والأنبياء _ عليهم السلام _ وإنزال الكتب السمأوية. فلو تُرِكت الأرواح سائبة وتائهة وحبلها على غاربها تتصرف في نفسها كيفما تشاء، لم تبق هناك حاجة إلى إرسال الرسل وإنزال الكتب. لأن دعوة الأنبياء جميعاً بعد توحيد الله

---

(1) في حديث رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَخْلُصَ إلى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ .

واثبات وجوده هي حياة الآخرة والحشر. وان الله تعالى أرسل رسله لتأمين كمال ورقي نوع الإنسان وصرف نظرهم إلى الحياة الخالدة. ولكن التناسخ يناقض تماماً هذه الحقائق.

ومن ثم فان القرآن الكريم يدحض فكرة التناسخ بتلقيننا : ان الإنسان هو أكرم المخلوقات وان السماوات والأرض والليل والنهار والحيوان النبات سُخّرت له. وانه عُيّن خليفة في الأرض وخُلِق في أحسن تقويم. وتسعى ملائكة لحفظه وأخرى تراقب أعماله.

ويبين لنا القرآن الكريم أيضاً بأن للمؤمنين جنان سرمدية وللكافرين نيران خالدة.

بعد إلقاء هذه النظرة القصيرة على تناقض فكرة التناسخ، سنحاول إيضاح الموضوع بشكل واسع:

- تناقض التناسخ من جهة نظر المنطق والقانون:

إذا كان التناسخ موجوداً وواقعاً، فينبغي أن يشمل كل فرد من الإنسان. وأن يتذكر هذا الإنسان جميع الأجساد التي عاش فيها والأعمال التي قام بها تلك الأجساد. فهذه الخرافة التي يروّج لها الملحدون ويصرون على ذلك، لا وزن لها من وجهة نظر المنطق والمحاكمة العقلية، ولا يصدقها المليارات من البشر ولا يعلمون عنها شيئاً ولا يعيشونها. إذن فما الغاية من تمكين هذه الخرافة في أذهان الناس؟ والحقيقة إن هذا الموضوع لجدير بالتأمل والاعتبار.

ان الذين يعملون في هذا المجال هم ثلاث طوائف:

الأولى: عدد من الأطفال.

الثانية: علماء النفس.

الثالثة: هم الكذابون الذين يؤمنون بأفكار مادية.

وحتى يومنا هذا ادعى عدد من الأطفال بأنهم عاشوا في أجساد أخرى. والحال إن هؤلاء الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 6–7 سنوات، لا وزن لأقوالهم في نظر العلم والقانون. لأنهم لم يبلغوا سن الرشد. فلا يمكن إثبات المسألة بأقوال هؤلاء الأطفال الذين يعيشون أيام طفولتهم وليست لديهم قابلية التمييز ليفرقوا بين الحقيقة والخيال. لأنهم تحت تأثيرات نفسية خارجية تجعلهم يشغلون الناس المحيطين بهم ويجلبون انتباههم إليهم وتشجيعهم إياهم.

إذن لا وزن لأقوال الأطفال والتي هي ثمرة خيالهم وبعيدة عن الحقيقة من الناحية العلمية. ولاسيما أن عدد الذين أسندت إليهم هذه الفكرة حسب الإحصائيات لا يتجاوز خمسة أطفال. لذا فالدليل الذي استند إليه آهل فكرة التناسخ والحبل الذي تعلقوا به لإثبات دعواهم الباطلة ليس سوى هذيان هؤلاء الأطفال.

أما الطائفة الثانية فهم علماء النفس. وان الموازنة العقلية لهؤلاء مختلة، وعباراتهم متناقضة. ومن الواضح إن الانشغال بعبارات هؤلاء الناس المرضى – المحتاجين للعلاج – ، والبحث فيها ليس سوى إضاعة الوقت عبثاً. وان أقوالهم مردودة وغير معتمدة حتى من جهة نظر القانون.

وأما الطائفة الأخيرة فهم أشخاص يتحركون ويعملون باسم فكرة معينة ولقصد معين. وان غاية هؤلاء الأشخاص الماديين الذين يكفرون بالله وباليوم الآخر هي إفساد الأمة وتحطيم الميول السليمة في الفطرة نحو الدين الإسلامي وزعزعة عقيدة العوام مقابل منافع مالية ومادية وذلك باصطناع وقائع لا أساس لها. واستخدام عدد من المغفلين كشريط مسجل لتضليل أفكار العوام.

الحاصل: لا يمكن إكساء ثوب الحقيقة على هذه الخرافة التي تستند على ادعاءات لا اصل لها لعدد من الأطفال أو جماعة من علماء النفس أو مجموعة من أشخاص غافلين.

– التناسخ تنافي قوانين الفطرة:

نستطيع القول بان هناك قوانين كثيرة لا تعد ولا تحصى وضعت لتنظيم الكائنات ولدوام وبقاء الحياة. وبواسطة هذه القوانين تتحقق الموازنة والتناسب والإدارة والنظام بين الأشياء وان مبدع هذه القوانين الشاملة في الكائنات جميعا هو الله تعالى بديع السماوات والأرض.

وان القوانين التي نشاهدها في جميع زوايا الكون أمثال التقدير والموازنة والرحمة والشفقة والربوبية والرزاقية والمالكية، تُرينا ان كل شيء في الكون من الذرات إلى المجرات لم يُخلَق عبثاً. وان الروح أيضاً لم تُترَك سدىً، وان هذه القوانين وغيرها تنافي فكرة التناسخ. ولنقف على ثلاثة من هذه القوانين باختصار:

أولاً: التناسخ تنافي قانون التقدير والموازنة :

ان كل شيء في الكائنات هو نتيجة خطة وبرنامج وتقدير وتعيين ومقياس وميزان. فكما ان قميصاً جميلاً يخبرنا عن علم الخياط وعن دقة قياسه وتقديره ومهارته، كذلك فان التوازن والنظام والانتظام الدقيق المشاهَد في كل شيء في الكائنات يخبرنا عن ((قانون التقدير والموازنة))، ويُرينا عدالة الله وعلمه وحكمته وإرادته. ولو أمعنا النظر في الكائنات نرى ان جمال الأشياء جميعاً وتناسبها وتوازنها ونظامها وجاذبيتها إنما نابع من قانون ((التقدير والموازنة)) لأن الجمال الموجود في الأشياء يستند إلى ميزان دقيق ومقياس حساس وإلى تقدير وتعيين ماهرَيْن وتناسب ونظام عاليين. لنوضح ذلك ببعض الأمثلة: هناك قسماً من القوانين يستفاد منه الإنسان في حياته. فتحويل الدهونات والمواد الغذائية في جسم الإنسان بعد تجزئتها إلى الطاقة إنما يكون ضمن موازنة تامة. وفي خلق الإنسان ذكراً أو أنثى يوجد ميزان وموازنة. وهناك توازن مستمر في

الولادات والوفيات. وموازنة بين الأرض والشمس وان ظاهرتي المد والجزر تُرينا الموازنة الموجودة بين الأرض والقمر، وان تكاثر البكتريا النافعة والضارة هو ضمن موازنة. وكذلك تكاثر جميع الحيوانات إنما يكون ضمن الموازنة.

إذن ان قانون الموازنة موجود في الكائنات وليس بمقدور أي شيء تجاوز حدود هذا القانون.

وان حركات الأرض وتبدل المواسم إنما يكون بهذا القانون، وان النظام الموجود في جميع الذرات يستند إلى قانون الموازنة. وان جميع طبقات السماوات والمجرات قائمة بهذا القانون فكل هذا يُرينا بأن هذا القانون يحكم في جميع زوايا الكون.

وان هذا القانون شامل وذو اتجاهات عديدة. فهناك في الكائنات موازنة فيزيائية وموازنة حياتية وموازنة الجسد والروح.

فلنبدأ بالموازنة الحياتية: ان تجزئة المواد الغذائية والدهونات في أجسام ذوي الحياة وتحويلها إلى الطاقة إنما تكون ضمن موازنة تامة. وان ولادات الأحياء ومعيشتها وموتها إنما تشير إلى هذا القانون.

أما الموازنة الفيزيائية : فجميع طبقات السماء وجميع المجرات قائمة بهذه الموازنة. وان جميع الموجودات من نظام الذرات إلى المنظومة الشمسية يدخل ضمن هذا القانون. وقد نظم البناء الفيزيائي لكل شيء وموازنته طبقاً لوظيفته. فمثلا ان البناء الفيزيائي للشمس والقمر يناسب وظيفة كل منها والتي تعتبر كالروح لها. فلا الشمس بمقدورها القيام بوظيفة القمر ولا القمر يستطيع أداء وظيفة الشمس.

نستدل من هذا ان الكائنات من أقصاها إلى أقصاها قد قيست وفُصّلت بعلم الهي، ووضعت تحت مراقبته الحكيمة.

وان قانون الموازنة موجود أيضاً بين روح الحيوان وجسده. وقد ألبس الصانع الحكيم لكل روح جسداً يناسب ماهيتها ومزاجها. فمثلاً ان جسد الغنم يناسب تماماً مع روحه الأليفة، وتخيلوا ماذا يحصل لو أُلبِس هذا الغنم بجسد الأسد. في هذه الحالة فان روح الغنم تلك لن تكون مفترسة حتى وان حملت رأس أسد ومخالبه. وقس على ذلك جميع الحيوانات. فمثلًا تختلف روح الغزال عن روح الأسد، وروح السمك تختلف عن روح الطير وذلك من ناحية خلقتها ورغباتها. والخلاصة : ان الأرواح تختلف فيما بينها من ناحية الماهية اختلافاً كلياً.

ونستدل كذلك بأن الله تعالى الذي خلق روح الإنسان بأحسن صورة وأكمل هيئة لن ينزلها من مرتبة أعلى عليين إلى دركة اسفل سافلين. وانه سبحانه لا يسمح بدخول روح الإنسان الذي

يعيش في القصور إلى جسد الأرنب الذي يعيش في الثغور، أو إلى جسد ضفدع يعيش في المياه الآسنة، أو إلى جسد فأرة تطاردها القطط. فهذه الأحوال جميعاً تنافي قانون الموازنة المذكور آنفاً.

ثانيا: التناسخ تنافي قانون الامتياز:

ان الله تعالى يحفظ هوية كل مخلوق وشخصيته حفظاً دقيقاً. ويطلق على هذا الحفظ بقانون الامتياز. ومن المعلوم ان ماهية كل نوع في الكائنات مختلفة. فلا يمكن أن تتغلب ماهية مخلوق إلى ماهية مخلوق آخر. إذ من المحال أن تنقلب حقائق الأشياء إلى أضدادها، وتفقد خصائصها. فمثلاً ان صفات التفاح، لا تفارق التفاح ولا تنتزع منه. ولم نرَ في يوم من الأيام تحول التفاح إلى الكمثري أو إلى أي فاكهة أخرى. ويسري هذا القانون على النجوم والشموس والأنهار والجبال والبساتين. لان كل شيء في الكائنات فريد بشخصيته. فمثلاً لا يوجد على خارطة العالم سوى (جبل همالايا) واحد وسوى (نهر نيل) واحد. وحتى البحار فإنها تحافظ على هويتها فلا يبغي بحر على آخر.

وهذا القانون ساري المفعول في هذه الكائنات بحكمة وحساسية، وليست الأنواع فحسب، بل ان كل فرد فيها يتميز عن باقي الأفراد بصفاته الخاصة المعروفة لديها وبتجاعيد سيماه الخاصة وبخصائصها الفريدة.

فمثلاً : ان كل فرد من أفراد البشر يختلف تماماً عن سائر بني جنسه من حيث ملامح سيمائه وصورة بنانه. وقد وضع هذا القانون لحفظ الحقوق العامة فيما بينهم. فلو كان جميع البشر حاملاً نفس السيماء والشكل والخاصية، لما عرف الناس بعضهم بعضاً ولضاعت الحقوق ولانقرضت الحياة.

ومن المعلوم ان صفات الأشياء وخصائصها لا تنفصل عن ماهيتها. فمثلاً: كما ان بناء أجسام النحل والذباب يختلف بعضه عن البعض بصورة عامة. فانه يختلف أيضاً في تفرعاته. فمثلاً ان بناء أجنحة وأرجل النحل يختلف عن بناء أجنحة وأرجل الذباب لوجود علامات فارقة عديدة تميز هذه الكائنات بعضها من البعض. وكذلك أرواح الحيوانات واستعداداتها، فإنها تختلف بعضها عن بعض. فإذا كانت روح النحل تواقة إلى التلذذ بحدائق الأزهار، فان روح الذباب تجد لذتها في حفر المجاري. وبمنظار هذا المثال نستطيع مشاهدة الحيوانات الأخرى وقياسها. فلا يمكن انفصال الخصائص الذاتية لنوع من أنواع الحيوانات وانتقالها إلى نوع آخر. وتظهر هذه الحالة واضحة بين الإنسان وبين أنواع الحيوانات بدرجة اكبر. فمثلاً: لو فرضنا ان روح الإنسان دخلت في جسد حيوان، فينبغي لها أن تدخل فيه بإدراكها وتفكيرها وباستعداداتها كالخطابة والكتابة والفن وبجميع

خصائصها. عندئذ يلزم ظهور فلاسفة ومفكرين وعلماء في الحيوانات. ولأصبحت لهذه الحيوانات مدنية خاصة، وثقافة وعلوم وآداب خاصة لها.

فما دام ان هذا القانون يقضي بعدم وجود التناسخ بين الإنسان والحيوانات وبين أفراد الحيوانات نفسها، فانه ينفي وجوده بين أفراد البشر أيضاً. لان كل إنسان يختلف تماماً عن الآخر من بني جنسه بعلمه ومعرفته وبإيمانه واعتقاده، وبدرايته وذكائه، وبشفقته ورحمته وبحميته وشجاعته.

فمثلاً : ان روح الإمام الغزالي– رحمه الله – تختلف تماماً عن الأرواح الأخرى بعلمها العالي وبوجدانها المقدس. فلو كان التناسخ ممكناً، لوجب مجيء (نسخ كثيرة) من الإمام الغزالي حتى يومنا هذا. وعدداً من ابن سينا وعدداً من أفلاطون. أما الحقيقة والصواب فإنها تكذّب هذا الادعاء.

وان استمرار شخصية الإنسان وهويته في مراحل عمره الطويل وفي جميع وظائفه التي يعمل فيها بعد دراسته في المدارس وتخرجه منها، يظهر: أن سجل عمل الإنسان لا يفارقه حتى بعد موته. فيحاسَب في المحكمة الكبرى على أعماله جميعاً صغيرها وكبيرها قليلها وكثيرها. وان العدالة المطلقة للحق سبحانه ستتجلى في الحشر بأسطع صورها. والإنسان ليس المخلوق الوحيد الذي يُحشر ويُحاسب، بل ان جميع الحيوانات ستُحشر بهوياتها وتُحاسب. وهي حقيقة يقتضيها قانون الامتياز[1].

ان الغاية العظمى لهذا القانون وحكمته الجليلة ونتيجته المهمة تتوجه إلى الآخرة، لذا فان كل فرد عند الميزان الأكبر يُحاسب على الخير والشر بتعبير الآية الكريمة : { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ } (الزلزلة:7–8). ونتيجة هذا الحساب يصبح كل فرد من أهل الجنة مظهراً لألطاف مختلفة حسب إيمانه وتقواه وعمله الصالح، ويتعرض كل فرد من أهل النار لنوع من العذاب يناسب كفره وعصيانه. وان تحقق ظهور هذه الحقيقة العظمى يتوقف على احتفاظ كل فرد بهويته وشخصيته التي تخالف تماماً شخصيات وهويات الأفراد الأخرى.

ثالثا : التناسخ تنافي قانون الرزاقية :

ان رزق كل نوع قد قُدّر وعُيّن حسب شخصية النوع وهويته وتقديره وقيمته. وان الله تعالى الذي وهب الإنسان أعلى مراتب الحياة المتضمنة للشعور والإدراك وقابلية النطق، قد بسط أمام

(1) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى تُقَادَ الشَّاةُ الْجَلْحَاءُ مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ .

هذا الإنسان العاجز موائد نِعَم ظريفة ولطيفة ومغذية وخاصة به تختلف عن نِعَم سائر المخلوقات نوعاً وكمّاً.

فمثلا : عندما يكتفي الدجاج بأخذ العلف والذرة، فان الإنسان يتغذى على الدجاج والبيض. وعندما تأكل الشاة الأعشاب والأشواك، فان الإنسان يتناول الغنم ويشرب حليبه المغذي.

وكما ان الإنسان ينفق مالاً كثيراً على مراسم يقيمها في حياته كالأفراح ، فان الرزاق الكريم الذي أولى اهتماماً كبيراً لهذا الإنسان لا يمكن البتة أن يأخذه من مائدته الإنسانية هذه ويُجلسه في جسد حيوان ويبسط أمامه مائدة حيوان. ولا تسمح بذلك حكمة الخالق ورحمته.

_ التناسخ تحقير لشرف وقيمة الإنسانية :

خلق الله سبحانه الإنسان في أسمى ماهية واكمل جامعية وسخر له جميع النباتات والحيوانات.

فمثلا : ان الأشجار بثمارها، والبقرة بحليبها والغنم بلحمه تسرع لإمداد هذا الإنسان، وتعمل لأجله. فهو زينة الكون وخليفة الأرض. وان جميع محتويات الكون قد رتب ونظم لأجل هذا الإنسان المكرّم. وان ما في هذا الكون من زينة وحشمة يُظهر شرف هذا الضيف الكريم ومقبوليته ووزنه عند الله تعالى. ومن المعلوم ان الإنسان خُلق لعبادة الله ومعرفته، لذا فقد جهزه العليم القدير باستعدادات جامعة وأجهزة ثمينة.

نعم، ان لهذا الإنسان الذي حمل الأمانة الكبرى التي أبت السماوات والأرض من حملها، والذي هو ثمرة الكون ونتيجته، لابد من غاية عظيمة ومهمة بل اعظم من هذا الكون نفسه. وهذه الغاية هي _ كما ذكرت آنفا _ عبادة الله ومعرفته ومحبته ونيل رضاه. وبذلك ينال المكانة التي تليق بجنة الخلد ويعيش فيها حياة أبدية بجسده وروحه.

وهكذا فان خرافة التناسخ تنافي ماهية الإنسان وحقيقته وقيمته. ومن المعلوم ان الحكيم الرحيم الذي وهب للإنسان هذه المكانة السامية لا يمكن تذليل روحه وتحقيرها واستخفافها بإسقاطها إلى دركات سفلى، ولا يسمح لهذه الروح أن تدخل إلى جسد حيوان عاجز وهو مسخر له. فلا يُنزل _ سبحانه _ هذه الروح التي كالألماس إلى دركة الفحم.

_ سفسطة التناسخ تخالف امر الله وإرادته :

ان تصرف الله سبحانه محيط بالكون. والإنسان _ كأي مخلوق _ ليس خارج نطاق هذا التصرف. فهو في تغير مستمر في كل زمان ومكان بأفكاره وميوله ورغباته. وهذا التغير يشمل

الجسم أيضاً. أي ان هذا الجسم في تغير وتجديد مستمرين بدوران دمه وتجديد خلاياه. وإلى هذه الحقيقة التي ندركها ونعيشها إشارات بليغة في كتاب الله العزيز في قوله تعالي : {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ }(المؤمنون:12-16).

فهذه الآيات الكريمة تبين لنا الأطوار والمراحل التي يمر بها الإنسان منذ نشأته الأولى إلى بعثه يوم القيامة والتي هي تحت تصرف الله تعالى. وفيها بيان لتسعة مراحل وأسرار تعود إلى خلق الإنسان :

1_ خلق سيدنا آدم υ من سلالة من طين وفي اكمل صورة ومن غير نطفة وذلك قبل إيجاد شكل وقالب البشر.

2_ بيان تصرف قدرة الله تعالى في خلق النطفة واستقرارها في رحم الأم ((فِي قَرَارٍ مَكِينٍ))لأجل بقاء نسل الإنسان ودوامه.

3_ توجيه الأنظار إلى الترقي والتربية في ماهية الإنسان في تحول النطفة إلى العلقة.

4- تحويل العلقة إلى المضغة.

5- خلق العظام وهي الأركان والأعمدة الأساسية التي تشكّل هيكل الجسد.

6- كسوة العظام باللحم. وفي هذه المرحلة توجيه العقول والوجدان إلى الجمال والحكمة الموجودين في تصرف الخالق سبحانه.

7_ وبذكره ((ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ)) يبين لنا سبحانه بعرضه أمام أنظارنا جميع الأجهزة المادية والمعنوية المتعلقة بالإنسان، بأنه خلق هذا الإنسان في احسن واكمل والطف تقويم وبذلك تم خلق الإنسان بطوله وقامته وإدراكه وحواسه ووجدانه وروحه وقلبه وصيّره صنعة خارقة واثر لطيف و((فهرسته غرائب الأسماء الحسنى)) و((مقياس لشؤون وصفات الله)) و ((ميزان لعوالم الكائنات)).

والذات الأقدس Ψ الذي خلق هذا الإنسان بهذه الكيفية هو ((احسن الخالقين))، والإنسان هو احسن المخلوقات. فهل يعقل الإنسان الذي خلقه الله بهذه الفطرة السامية أن ينزل روحه إلى دركة الحيوانات ؟ ويقلّب هذا الجوهر النفيس إلى قطعة زجاج عادية؟.

8- بعد ذلك يذوق الإنسان طعم الموت بإرادة الله تعالى.

9- وأخيراً بعثه وإحياءه يوم القيامة.

إن هذه المراحل التسع المذكورة في الآيات ترينا بان حياة الإنسان بجميع صفاتها ولحظاتها ليست خارجية عن تصرف الله وإرادته. وان حكمة الحاكم الحكيم اقتضت خلق الإنسان بهذه الدرجة الراقية لأجل حمله أمانات عظمى، وتكليفه بتكاليف عظيمة. وأن يكون مؤهلاً للسعادة الأبدية وذلك بإيمانه وأخلاقه وعمله الصالح.

إذن فالخالق العليم لا يترك هذا الإنسان حبله على غاربه لا في دنياه ولا في أخرته. اجل فكما ان آيات عديدة في القرآن تبين قيام الساعة ومحاسبة الإنسان على أعماله، وان الدعوة المقدسة للأنبياء والرسل هي الإيمان بالله وباليوم الآخر، فما أهمية وساوس وأوهام أهل التناسخ إزاء هذه الحقائق الساطعة كالشمس ؟

_ خرافة التناسخ تخالف إرادة الإنسان :

إذا أخذنا التناسخ بعين الاعتبار وتناولناه كفكرة فإننا نواجه احتمالين :

الأول : إما أن يكون التناسخ بأمر الله وإرادته.

والثاني : أو أن يحصل باختيار الروح ومشيئتها.

وقد أثبتت محالية الشق الأول في التفاصيل التي ذكرت آنفا.

أما الاحتمال الثاني : فهو انتهاج الروح مسلكين في انتقالها من جسد إلى آخر، فإما بشعور أو بدون شعور. فإذا كانت الروح بدون شعور فيعني ذلك أنها لا إرادة لها. لأن جميع حركاتها هي خارج العقل والإدراك. أما إذا كانت ذات شعور فان هذا الاحتمال يعني سفسطة مخجلة ومبنية على محالات غير نهائية. لأن ذلك يعني بان للروح قابلية الترجيح، وإذا كانت لديها هذه القابلية، فهي تمتلك شعوراً وبذلك تمتلك مزايا أمثال الاستحسان والانتقاء والتمييز. لأن الترجيح يستند على الشعور وعلى المحاكمة العقلية. ولما كانت الروح تمتلك شعوراً ومحاكمة عقلية فعندئذ لا ترجح الدخول في جسد أي حيوان. إذن من المحال دخول روح الإنسان إلى أجساد النباتات والحيوانات.

ولنفرض ان الروح تنتقل بإرادتها إلى جسد الحيوانات، فعندئذ تواجهنا معضلات لا يمكن حلها فمثلاً : تقتضي هذه الفرضية أن تدخل الروح في جميع الحيوانات دون توقف أو ملل وحتى إنها تدخل من رحم هذه الحيوانات دون خجل. وبتعبير أدق، ان هذه الفرضية تفتح باباً إلى السفسطة كدخول الأرواح إلى نطف وبيوض الحيوانات جميعاً والتي تعيش في البر والبحر والجو. أو أنها تتواجد مع الكروموسومات والجينات وفي كل آن.

وهذا النهج الباطل والمحال والبعيد عن العقل لا تقبله حتى الحيوانات، وليس الإنسان وحده فحسب.

وهناك محال آخر يرد إلى الذهن وهو : لو افترض أن الروح اختارت أباً وأماً. فينبغي لها أن تكون حاضرة عند اجتماعهما في الفراش. ترى أين يكون مكان انتظار هذه الروح عندئذ ؟

وسواء كان الانتظار في الخارج أو في الداخل، فان محالات عديدة ستظهر منها : ان الروح ينبغي لها أن تقيم معاهدة اتفاق مع الجينات الذكرية والأنثوية المجتمعة في الأعضاء التناسلية، ومع الرحم ومع الشهوة التي تساعد على التلقيح والطاقة التي تولد هذه الشهوة، والجسد الذي يتولد الطاقة ومع المواد التي تغذي الجسم، وباختصار شديد ينبغي للروح القيام باتفاق مع جميع الكائنات. وهذه من المحلات الواضحة. وبذلك تنحصر عمل الجينات الذكرية والأنثوية ضمن قانون الشهوة. والحال ان هذا القانون كلي وشامل لجميع طبقات الحياة. فمن البلاهة، بل هو عين إنكار وجود الله أن يسند هذا القانون الإلهي إلى روح الإنسان العاجز وإلى إرادة الجينات الذكرية والأنثوية ووضعه تحت أمرتها. فضلاً عن ظهور تساؤلات ومحالات لا تعد في الموضوع.

ومن الحقائق المعلومة، ان نمو الجسد في الرحم مرتبط مع قانون النشوء والنماء. وبما انه يوجد انتظاماً كاملاً في الجسد فينبغي ذلك وجوب وجود علم وقدرة وإرادة لانهائية لبناءه. ومن الهذيان إسناد خطط وبرامج هذا الجسد المخلوق في غاية الاهتمام والانتظام ومطرز بِحَكم دقيقة، إلى روح جاهلة وعاجزة. وإذا ما أخذت بهذه السفسطة فما يكون الرد على هذه التساؤلات ؟: لنفترض ان الروح وجدت نطفة الحيوان الذي ترغبه، فهل هي التي تقرر ظهور الذكر أو الأنثى من هذه النطفة أو تفعل ذلك نتيجة فحص تقوم به في أي مختبر كان ؟ وهل هي التي تسوق الحيوانات المنوية لتصبح ذكراً أو أنثي ؟. أو تدخل تارة في جسد حيوان ذكر وتارة أخرى في جسد حيوان أنثى ؟ عندئذ هل تعيش هذه الروح ذكراً حيناً من الزمن وأنثى حيناً آخر ؟ أو ان هذه الروح تدخل جسد حيوان ذكر إن كانت ذكراً وتدخل جسد حيوان أنثى إن كانت أنثى؟ ولماذا لا تتذكر ماهيتها ولا تتذكر الأجساد التي دخلتها وعاشت فيها كذكر أو أنثى عند مجيئها إلى الحياة؟ ولم يتذكرها المليارات من الناس، ويتذكرها أطفال لا يتجاوز عددهم الخمسة أو يتذكرها مجاذيب علم النفس؟.

وإذا ما تخاصم اكثر من روح واحدة على رحم واحد، فما هو الحل لفصل نزاعهم ؟ وهل الحل بواسطة الاقتراع، أم بواسطة الجدال أو الاقتناع ؟.

ومن ثم بأي صفة تدخل الروح إلى جسد الحيوان ؟

نستنتج مما سبق، ان خرافة التناسخ باطلة وسفسطة من وجهة نظر المنطق والمحاكمة العقلية والحكمة والحقيقة والحق والقانون والعقل والوجدان. وقد لوحظ أيضاً في ضوء هذه الإيضاحات بأن دعوى التناسخ تنافي نواميس الكون. وان كل قانون من قوانين الكون يصرخ بلسان الحكمة والحقيقة بطلان هذه الخرافة. ومن ناحية أخرى فان دعوى التناسخ هي استهزاء وجناية عظيمة تجاه الحكيم المطلق وعدالته ورحمته وعنايته.

والآن نتأمل : ترى هل توجد دعوة غير هذه الدعوة تفوقها في الخرافة والبطلان ؟ وإذا لم تكن هذه الدعوة دعوة رجعية وعصبية غليظة، فما تكون إذن ؟!

_ التناسخ تخالف علاقة الروح والجسد :

لنطرح أمام دعاة التناسخ هذا التساؤل : ان كل بيت يُرّتب ويُنظّم حسب ساكنه ووزنه وقامته. فالقصر يبنى للسلطان والقفص يصنع لطيور الكناري. وان هذه العلاقة توجد بأكمل صورها بين الروح والجسد. فالحكيم المطلق – سبحانه _ خلق جسد الغنم مطابقاً لروحه الأليفة، وخلق جسد الأسد مطابقاً لروحه الخشنة. وان الدلائل التي تثبت ذلك كثيرة بعدد أنواع المخلوقات بل بعدد أفرادها.

وان الرحيم ذا الكمال قد البس لروح الإنسان _ التي خلقها مرشحة للسعادة وزينها وجهزها بالعقل والقوة الحافظة والخيال وبحواس ظاهرية وباطنية _ جسداً مناسباً للقيام بوظائف راقية أمثال التفكر والعبادة والشكر. ومن المعلوم ان خاصية أي ماهية لا تنفصل عنها ولا تفارقها. وبناءً على هذه الحقيقة ؛ لو افترض ان روح الإنسان دخل جسد حيوان، فان هذه الروح تطلب الاستمرار في تفكيرها وتأملاتها والتعبير عما تدركها وترغب في عرض وتشهير معرفتها أمام الأنظار. وعندما لا يليق هذا الجسد ولا يناسب هذه الوظائف فان الروح لا تستطيع إدامة حياتها فيه وحتى ان الروح التي تعيش أحياناً في ضجر وضيق في بعض أجساد الإنسان، لاشك أنها لا تستطيع العيش في أجساد الحيوانات.

لذا فان المتشبثين بفكرة التناسخ يرون الروح التي هي ضيف كريم فارقت الجسد بعد إنهاء وظيفتها في الدنيا، بأنها تارة تدخل القفص وتخاف الناس، وتارة تحل في جسد الأسد فتهاجم الغزال، وأخرى ترسلها إلى جسد الضفادع لتعيش في الماء وبهذا يضعون أمام هذا الضيف اللطيف أحياناً الرمل وأحياناً جسد حيوان ميت، وأخرى علفاً، وبذلك يخالفون الحكمة والحقيقة بعصيانهم هذا. وأحياناً يُدخلون هذا الضيف الذي يتناول الدجاج في حياته إلى جسد دجاج ليكون بعد ذلك طعاماً للإنسان أو فريسة للثعالب.

وان أهل التناسخ عندما يدخلون روح الصراصر التي تخشى من كل صوت وتقتات على الفضلات في الخلاء، إلى جسد نمر فإنها تصبح شجاعة ومفتونة بلحم الغزال. وكذلك يجعلون الروح الواحدة تدخل إلى أجساد عديدة في يوم واحد. فمثلاً تدخل هذه الروح إلى جسد الغنم صباحاً، وتنتقل إلى جسد ثور في المساء، وبعدها تنتقل إلى جسد البقر لتعيش قليلًا وتنتقل إلى جسد القرد في الليل وترقد فيه.

ويرى أهل التناسخ، ان النمر الذي يهاجم الغزال ربما كان غزالاً بالأمس. أو ان أحد أفراد أهل التناسخ الذي يهمس بهذه السفسطة ربما كان ثعبان بالأمس.

فحذاري.. حذاري من أفكار أهل التناسخ المسمومة، لأنها ربما هي من مخلفات طور الثعبان الذي عاشوا فيه ؟!..

الحاصل، ان النظام والتطابق والموازنة المكملة الموجودة بين الأجساد والأرواح، ترينا ان الله الذي خلق روح الإنسان وجعلها مركزاً للكون ومتحضرة منذ أن خلقها، وشرح صدرها بالعلم والمعرفة وخليفة في الأرض وقائداً على قافلة المخلوقات، لا يرضى أن يجعلها حقيرة وذليلة بإدخالها بعد موت الإنسان في أجساد الحيوانات والنباتات والمعادن.

* * *

تحضير الأرواح

بعد ظهور موضة ((تحضير الأرواح)) في الغرب، انتشرت هذه الظاهرة في بلاد الشرق، ولاسيما بين الطبقات الراقية في المجتمع الشرقي حيث وجدت الظاهرة استعداد هذه الطبقة لقبولها بسهولة. لذا رأينا من المفيد بحث هذا الموضوع بكل جوانبه :

ان الذين يزعمون العمل في ((تحضير الأرواح)) إنما يخدعون قسماً من الغافلين والسذج من الناس وبأشكال مختلفة.

واهم أشكاله المنتشرة هي : إن الوسيط في تحضير الأرواح يقوم بترتيب عدد من الفناجين وعرض بعض الحروف على الطاولة. ويقال ان الوسيط يفيد بذلك اسم الروح التي يقوم بتحضيرها. وبعد ذلك تهتز الفناجين. وتُسمع أصوات من الطاولة. وفي هذه الأثناء تتحرك الحروف يميناً وشمالاً. فاهتزاز هذه الحروف _كما يزعمون _ هو محاولة الروح لتوضيح أجوبتها.

هل هناك علاقة حقيقة بين الأرواح وبين ظاهرة تحضير الأرواح ؟ وهل ان الأرواح التي أحضرِت –كما يزعمون _ من قبل الوسيط وتكلّمت هي أرواح الموتى حقيقة ؟ وإذا كانت هذه الأرواح ليست بأرواح الموتى فمَن الذي يُخرج الأصوات عند الضرب على الطاولة ؟.

يمكن الحصول على جواب هذه الأسئلة فقط في ضوء دلائل عقلية ونقلية للعلم والمنطق.

في البداية نبين ما يلي : ليس هناك أي شيء في الكائنات عبثاً لا غاية له ولا مالك، ولم يُترك أي شيء لحاله، ولا أحيل إلى المصادفة قط. وان كل مخلوق في الكائنات _ سواء كان حياً أو جامداً هو اثر نظام متقن وتحت مراقبة وتأثير شديدين، وليس هناك شيء خارج نطاق قوانين الإحاطة والشمول التي وضعها الله تعالى.

ومن يمعن النظر في هذه القوانين الجارية بنظام وانتظام مستمرين، يعلم يقيناً بان الذات الأقدس– جل جلاله – الذي يدير هذه الحياة بهذه القوانين، لابد انه سيديمها بعد موتها بعلمه المحيط وإرادته المطلقة

ومن ثم فان الله تعالى خلق روح الإنسان من بين مخلوقاته في اشرف واكرم ماهية، وزينها بمزايا راقية، وجعل سبحانه الكائنات متوجهة إلى هذا الإنسان، واتخذه مخاطباً وخليلاً له من بين المخلوقات قاطبة. فهذا يرينا بوضوح بان الذات ذا الجلال سبحانه لا يمكن تسليم تصرف هذه الروح التي ملّكها هذه المزايا السامية وجعلها مظهراً لهذه الصفات إلى أيدي أخرى ولا يتركها ألعوبة بيد السفهاء.

والإنسان ليس له الإرادة في التصرف في جسده فمثلا: انه لا يعرف كيفية تقسيم الغذاء بعد تناوله في معدته، وكيفية توزيعه إلى الأعضاء الأخرى. فإذا كان الإنسان غافلاً عن هذه التصرفات التي تحدث داخل جسده، فكم يكون ادعاءه ذلك حول تصرفه في الأرواح مضحكاً !

ان كل ما في السماوات والأرض هو تحت تصرف الله تعالى. بناء على ذلك فان الأرواح لم تُترَك لإرادتها، ولو كانت كذلك فان قسماً من هذه الأرواح لا ترغب حتى المجيء إلى الدنيا، وان جاءت فإنها تأبى الخروج منها بعد ذلك.

والآية الكريمة { قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي } تفيد بوضوح تام إن روح الإنسان هي من أمر الله. فأي قوة تستطيع التأثير على روح هي من أمر الله. وأي قوة تستطيع اخذ زمام التصرف من هذه الروح ؟

وهناك عديد من الآيات وردت في القران الكريم تتحدث عن روح الإنسان : وإنها لا تبقى سائبة بعد موت الإنسان بل إنها إما في حفرة من حفر النار أو في روضة من رياض الجنة.

فالآية الكريمة {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } (الأنفال:50) نزلت في حق الكفار. وان الآية { النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ } (غافر:46) تبين بوضوح ان الكفار يُعرضون على النار إلى أن تقوم الساعة. أما المؤمنين فيقول الله تعالى:{ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (النحل:32).

وهناك أحاديث شريفة كثيرة تتحدث عن عذاب القبر وعن أحوال الموتى. منها : يقول رسول ρ : ((إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أو حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ))[1].

وفي حديث آخر ((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قُبِرَ الْمَيِّتُ أو قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمْ فَيَقُولُ أَرْجِعُ إلى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولانِ نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لا يُوقِظُهُ إِلاّ أَحَبُّ أَهْلِهِ إليه حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لا أَدْرِي فَيَقُولانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ فَيُقَالُ لِلأَرْضِ الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلاعُهُ فلا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ))[2].

نفهم من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة آنفة الذكر بأن الروح كبقية المخلوقات في هذه الكائنات ليست سائبة تسرح حيث تشاء بل تحاسَب في القبر إما حساباً يسيراً أو حساباً عسيراً.

ومن الجدير بالذكر، كما ان العالم ليس منحصرا على المادة، كذلك الروح فأنها ليست منحصرة على الإنسان فحسب، بل هناك عوالم روحانية لانهائية تضم مخلوقات لانهائية أيضاً _ كعالم الملائكة وعالم الجن وعالم الشياطين وغيرها من العوالم الروحانية التي لا يعلم عددها إلاّ الله سبحانه.

والآن نخوض في تفاصيل علاقة هذه العوالم مع دعوة ((تحضير الأرواح)):

---

(1) رواه الترمذي من حديث ابي سعيد .

(1) رواه الترمذي في سننه .

ان طائفة الملائكة التي خُلقت من ((نور)) هي اكبر طائفة لهذه المخلوقات. فهم عبادٌ مُكرمون يعبدون الله وحده ولا يعصونه أبداً. وانهم مشغولون دائماً بوظائف الذكر والتسبيح والعبادة والمعرفة ويعملون بأمره تعالى وقوته وباسمه ولحسابه. فهذه المخلوقات المقدسة التي تعتبر جميع أعمالها مبنية على الخير المطلق، لاشك أنها لا تنزل ولا تلبي لدعوة الإنسان العاصي، ولا تتبع الوسطاء في عملية تحضير الأرواح.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تبين بان أرواح الإنسان والملائكة تحت تصرف الهي. منها :

{ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } (التحريم: **6**).

{ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } (الأنبياء :**26–27**)

{ وَلَهُ مَنْ فِي السماوات وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ } (الأنبياء:**19–20**).

نفهم من ذلك ان الوسطاء لا يستطيعون جلب الملائكة.لأن الملائكة عباد مكرمون ومنزهون عن مثل هذه الأعمال الدنيئة. ولا يمكن أن يكونوا وسيلة لجلب الأخبار للوسطاء.

أما أرواح الإنسان، فإنها تنقسم إلى أربعة أنواع من حيث الدرجة والمرتبة:

1– أرواح الأنبياء (عليهم السلام) والأولياء (رضوان الله تعالى عليهم):

ان هؤلاء الذوات النورانيون والصفوة المختارة من بين المخلوقات هم قادة البشرية. وكل منصف وعاقل وصاحب عقيدة سمحة يصدق بان هذه الأرواح العالية والمقبولة عند الله والمفضلة على الملائكة لا يمكن أن تنزل وتحضر بنداء إنسان سافل آثم.

2– أرواح الشهداء:

يقول الله تعالى : {وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ} (البقرة:**154**).

يعتبر الشهداء بحكم الأولياء لدى جميع المفسرين. إلاّ ان الشهيد يعيش في مرتبة حياة أخرى تسمى بـ ((حياة الشهداء))، فيتبين من ذلك ان أرواح هذه الزمرة المجاهدة التي أفدت بحياتها في سبيل الله لا يمكن أن تكون آلة بيد الوسطاء السفلة.

3– أرواح المؤمنين المذنبين:

بما ان هذه الأرواح آمنت بالله وباليوم الآخر، إلاّ أنها لم تعمل الصالحات بل تمادت في المعاصي والذنوب. فهي تتعرض لعذاب القبر. ولم يرد إلى الأذهان بأن هذه الأرواح تأتي إلى الوسطاء لأنها تُحاسب في القبر وتلقى من الأذى ما يُشغلها عن التجوال كيفما تشاء.

4- أرواح الكفار:

ان هذه الأرواح التي لم تؤمن بالله ولا برسوله ρ ولا بالقرآن ولا باليوم الآخر ثابت بالكتاب والسنة تكون معرضة لعذاب اليم وابدي في قبرها. فمَن يسمح لهذه الأرواح التي تكون مخاطبَة من قِبَل قهّار ذو الجلال أن تأتي وتحرك المناضد؟.

يتبين مما سبق بأنه من المحال أن تحضر الملائكة وأرواح الإنسان إلى الوسطاء. ويضرب على الطاولة ؟. إذن فمَن الذي يحضر مع الوسطاء ويضرب على الطاولة ؟!.

للإجابة على هذا السؤال نرى من المفيد أن نقف قليلاً على الحكم المترتبة والمتعلقة بخلق الإنسان. ففي الآية الكريمة { إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً }(الإنسان:2) إشارة إلى أن الإنسان أرسِل إلى هذه الدنيا لأجل الامتحان والاختبار. فالدنيا ميدان سباق فتحت بابها للإنسان. وبهذا السباق تتميز الأرواح الطيبة التي هي كالألماس من الأرواح الخبيثة التي هي كالفحم. ويتم تمييز الصالحين من الطالحين : وهذا ما يقتضي خلق الشياطين.

وكما وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تصرّح بان الشياطين هم مخلوقات بعيدة عن الخير وقريبة من الشر، ومسلطون على الإنسان. منها قوله تعالى :

{ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ }(الأعراف : 11_ 18)

في هذه الآيات الكريمة نقطتان تتعلقان بمسألتنا عن قريب :

الأولى : ان إبليس سأل ربه أن يمهله ويبقيه حياً إلى يوم القيامة.

والثانية : صد إبليس للإنسان عن طريق الحق بإتيانه عن أمامه وخلفه ويمينه وشماله. لذا فانه يقوم دائما بإثارة الرغبات السفلية والحيوانية لدى الإنسان،بخداعه وصده عن طريق الحق. وان إحدى سبل إغفال الشيطان هي : استخدامه الوسطاء كمهرج، وإفساده البشرية ونقل أخبار كاذبة لهم.

ولنوضح هذه الحقيقة، وهي انه ليس للشياطين سلطان على المؤمنين الذي يعرفون ربهم ويتبعون كتاب الله وسنة رسوله ρ ويعملون الصالحات في ميدان الامتحان هذا. وإنما يكون سلطانه على ضعاف الإيمان والذين لا يعملون الصالحات وواقعون في السفاهة، والبعيدون كل البعد عن أمر الله. أي انه يضل الذين لم يستفيدوا من نور القرآن الكريم استفادة كاملة بسوقهم إلى السيئات والمعاصي جاعلًا منهم ألعوبة وسخرية له. وانه ينتهز من كل فرصة تتاح له ليسيطر على هذا الصنف من البشر.

لذا يستطيع المسلم النجاة من الوقوع في حبائل هؤلاء العابثين بمعرفته أن كل حركة لا تليق بأوامر الله تعالى هي من آثار الشياطين. ومن الناس مَن ينجذب إلى غفلات الشياطين الذين يزينون هذا المسلك الباطل بزينة العلم مظهرين جاذبيته وحلاوته. ولكن الله تعالى ينزل على رؤوس هؤلاء الأشخاص هذه الآيات الجليلة والمليئة بالمعجزات وبالعظات كالنجم الثاقب ويجعلهم في ارذل وأحط مرتبة : { هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ } (الشعراء:**221-223**).

نعم ان الأرواح الحاضرة في ما يدعى في تحضير الأرواح والذين يضربون على المناضد ويخرجون أصواتاً ؛ هم شياطين ومردة الجن. يقول الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) في هذا الخصوص : ((ولما كانت هذه المسألة _ تحضير الأرواح والتنبؤ بالغيب _ آتية من الأجانب ونابعة من الفلسفة فقد تؤدي إلى أضرار جسيمة بالمؤمنين. حيث يمكن استعمالها استعمالاً سيئاً، إذ لو كان فيها صدق واحد ففيها عشرة أكاذيب. ولا محك ولا مقياس لتمييز الصدق عن الكذب. وبهذه الوسيلة يلحق الجن _ الذين يعينون الأرواح الخبيثة _ الضرر بقلب المنشغل بها وبالإسلام أيضاً، ذلك لأنها اخبارات تنافي حقائق الإسلام وتعارض عقائده العامة مع انها تزاول باسم أمور روحية معنوية، حيث يوحون بأنهم أرواح طيبة مع انهم أرواح خبيثة، بل انهم يسعون للإخلال بالأسس الإسلامية، أو يتفوهون بكلمات مقلدين أسماء أولياء عظام، وبهذا يستطيعون تغيير الحقيقة والتمويه على السذج الذين يكونون ضحية خداعاتهم..)) (الملاحق- ص**388**).

ورأينا من المناسب درج عبارات لمولانا جلال الدين الرومي[1] تتعلق بالموضوع نفسه:

(**1**) مولانا جلال الدين الرومي (**604-672**هـ) : عالم بفقه الحنفية والخلاف وأنواع العلوم. ثم متصوف صاحب (المثنوي) المشهور بالفارسية المستغني عن التعريف في ستة وعشرين ألف بيت. وصاحب الطريقة المولوية ولد في بلخ (بفارس) استقر في قونية سنة (**623**هـ) عرف بالبراعة في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية فتولى التدريس بـ(قونية) في أربع مدارس بعد وفاة أبيه سنة (**628**هـ). من مؤلفاته ديوان كبير .(المترجم)

(**2**) رواه البخاري برقم (**4434**) .

((لو سلط الجن على الإنسان وغلبه لضاعت صفات الإنسانية)).

((وكل ما يقوله هو كلام الجن. سواء من بداية الجملة أو نهايتها فانها في الحقيقة هي للجن)).

((في هذه الأثناء ذهبت شخصية الإنسان، ويحكم عليه الجن كلياً، فيتكلم التركي بالعربية بدون الهام.)).

وفي صدد تسلط الجن على الإنسان نشير إلى حديث شريف رواه البخاري عند تفسيره الآية : { قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ أَخْبَرَنَا رَوْحٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ عِفْرِيتًا مِنْ الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ أو كَلِمَةً نَحْوَهَا لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلاةَ فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إلى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إليه كُلُّكُمْ فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ رَبِّ{ هَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي } قَالَ رَوْحٌ فَرَدَّهُ خَاسِئًا [1].

وتعتبر الدراسة الفكرية التي أجراها الأستاذ احمد نعيم بابان زاده[2] أحد مدرسي (دار الفنون) القدماء في ضوء هذا الحديث الشريف حول الجن، جديرة بالاهتمام والتقدير.ويفيد بابان زاده في القسم الأول من دراسته بان الله تعالى هو الذي يعلم عدد أنواع المخلوقات. وان الكائنات الحية لا تشمل الإنسان والحيوان فحسب، بل هناك إلى جانب تلكما الطائفتين، مخلوقات لطيفة كالملائكة والجن. ويستشهد بأحاديث نبوية شريفة وشهادات واخبارات الأولياء والأصفياء. وبعدما يوضح بان الملائكة هم مخلوقات نورانية لا تحيد عن أمر الله تعالى مقدار ذرة. يقول عن طائفة الجن : ((الجن كالإنس يعيش على الأرض فمنهم المؤمن ومنهم الكافر. ويدخل قسم منهم في أشكال مختلفة. وان وجود هذه المخلوقات – الملائكة والجن– ثابت بالكتاب والسنة. وإنكارها هو كفر لأنه تكذيب للكتاب والسنة.

ويضيف احمد نعيم بان العلم لا يحيط بكل الحقائق قائلا : ((عندما يقول العلم يوماً : أني اعلم كل شيء، فانه انحرف عن غايته الأصلية وانقلب إلى الجهل. ولكن غاية العلم ليست هي إنكار الحقائق، بل هي السبر في غورها. وان إنكاره الحقائق يجعله عقيماً ودون جدوى)).

وينتقد احمد نعيم أقوال قسم من المفكرين، منها قولهم: ((نقبل بكل ما يصدقه العلم، ولا نحكم على ما يصدقه)). فيقول في هؤلاء: ((فإذا كانت هذه الفلسفة نابعة من شوق بحث

---

(3) احمد نعيم بابان زاده (1876– 1934م) : ولد في بغداد من عائلة كردية. وانهى دراسته الابتدائية فيها ثم انتقل إلى استانبول حيث أنهى دراسته العالية. ومن ثم عمل أستاذا جامعياً في نفس الجامعة التي تخرج منها . اكثر من الكتابة في المجلات والصحف العثمانية فكتب في مجلة (ثروت فنون) التي ظهرت في أواخر عهد السلطان عبد الحميد. وكتب في مجلة (صراط مستقيم) التي أقامها الإسلاميون عام 1908 للرد على دعاة الفكر القومي، كما كتب في مجلة (سبيل الرشاد) وهي امتداد طبيعي لمجلة (صراط مستقيم). (المترجم)

الحقيقة، فلِمَ لا يُبحث عن الخبر الصحيح المستند للنبوة المحمدية والمبرهن بتأييد سديد من جانب العقل والنقل؟. وان الشخص الذي يبحث عن الحقيقة لو ولّى وجهه شطرها وبذل جهده قليلاً نحوها لتوصل إليها مطمئناً.))

ويستمر احمد نعيم: ((هناك صور في بعض الكتب يقال بأنها صور التقطت للأرواح، بينما الحقيقة هي ان هذه الصور لا تمت بأية صلة بالأرواح)) ويضيف قائلاً: ((ربما هي صور تتعلق بالجن بأنواعها الإفرنجي، وذوات الحركات البعيدة وللطائفة الشيطانية.)). ويوضح بابان زاده قائلاً : ان اهتزاز الطاولة والفناجين التي عليها إنما هو حاصل من قبل الشياطين ومردة الجن دون أن تتدخل فيها أيدي الوسطاء.

ويقدم احمد نعيم دليله في هذا الموضوع. وهو(كروكس) من مشاهير علماء الفيزياء والفلك في إنكلترا حيث يقول فيه: ((عندما اخبر كروكس الجمعية الملكية البريطانية العالية عن تجاربه التي أجراها على آلات فيزيائية، كان الرد عليه بأنه ((مخدوع)) ومقيد العيون. فرد هو بدوره على المنكرين قائلاً : ((لنقبل بأنني قد خُدِعت ولكن كيف بالآلات الفيزيائية فهل خدعت هي الأخرى وقيدت عيونها؟.))

ويؤكد بابان زاده ان هناك جمعيات كثيرة في الغرب تعمل في مجال بحث أسرار وحقائق الجن وكيفية إقامة الروابط والاتصال معهم. وهناك مئات المجلات والنشرات تنشر في هذا المجال، حتى يؤكد وجود مئات من أساتذة الجامعات في الغرب لا يرون الاشتغال في هذا المجال عاراً لهم، منهم رئيس جامعة برمنكهان **Lazarref & Charles & Oliver**.

ويصرح احمد نعيم في هذا المجال بهذه الحقيقة مؤكداً: ((ان معلومات هؤلاء الأشخاص في هذا الباب عن الجن ناقصة وعقيمة وبلا محك ولا مقياس. لذا فهي بدائية جداً ولا يؤخذ منها. أما نحن المسلمين، فان اعتقادنا وإيماننا في هذا الباب هو البيانات التي اخبر بها الصادق المصدوق ρ والذي وسعت علوم معرفته بالوحي الإلهي. فحكمنا محدود بحدود كلام ذلك الصادق الأمين ρ ونقبل به كما سمعناه منه. ولا نضيف عليه شيء من عندنا. وان التكلم عن علماء الغرب– سواء تطابقت آرائهم معنا أم لا– هو لأجل التوضيح ان إنكارهم الوحي وضيق ساحاتهم العلمية وقيامهم بإنكار الحقائق والأشياء المجهولة دون تأمل أو تدبر فيها، وكلامهم الهذر هو خطر جسيم باسم الحقيقة وكفر والحاد باسم العلم.)).

* * *

الشياطين والجن وقانون المبارزة

ان من مقتضيات قانون المبارزة هي تسلط الشياطين ومردة الجن على الإنسان. ونرى ان هذا القانون يسري في الكون بسبب تناقض الأضداد. لذا فقد أرسِل الإنسان إلى هذه الدنيا للامتحان والتكليف.وبهذا الامتحان والتكليف تنكشف استعداداته. ومما لاشك فيه ان هذا الانكشاف يقتضي حركة، لينتج تعامل من هذه الحركة فتتحرك بذلك دواليب الترقي في الداخل. أما الترقي والمجاهدة فيقتضيان وجود شياطين ومخلوقات شريرة مسلطة على الإنسان. وإلاّ فان مقام الإنسان يبقى ثابتاً ولا يترقى. وان الإنسان بمقتضى جبلّته يميل إلى الشر. إذن فان ما يقتضيه العقل هو وجود عاملين خارجيين – الشياطين ومردة الجن – اللذان يسوقان ويشوّقان الإنسان لترقي وتدني عالمه الداخلي والخارجي. لهذا السبب فان الملائكة تتطلب ترقي الإنسان إلى أعلى عليين، وتطلب الشياطين تدني هذا الإنسان إلى اسفل سافلين. وهذا قانون إلهي وسر من أسرار القَدر.فالترقي والتدني الموجودان في البشر يصدّقان هذه الحقيقة. ويثبتها أيضاً وجود ترقيات وتدنيات مختلفة في البشرية بدءاً من الأنبياء والأولياء إلى النماردة والفراعنة.

((ان خالق الكون جلّ وعلا له من الأسماء الحسنى أسماء جلالية وأسماءٌ جمالية. وحيث أن كلاً منها يُظهر حُكمه بتجليات مختلفة عن الأخرى، لذا فان الخالق سبحانه وتعالى قد مزَجَ الأضداد ببعضها وجعل يقابل كلٌ منها الآخر، وأعطى كلاً منها صفة التدافع والتجاوز، فأوجد بذلك مبارزة حكيمة ذات منافع، بما أوجد من الاختلافات والتغيرات الناشئة من تجاوز تلك الأضداد حدود بعضها البعض الآخر. فاقتضت حكمته سبحانه أن يسير هذا الكون ضمن دستور السموّ والكمال وحسب قانون التغير والتحول، لذا جعل الإنسان وهو ثمرة الثمرة الجامعة لشجرة الخليقة يتبع ذلك القانون، أي قانون التدافع والمبارزة، اتباعاً شديد الغرابة حيث فتح أمامه باب « المجاهدة » التي يدور عليه رقيّ جميع الكمالات الإنسانية وتكاملها.))[1]. ولما كان قانون المبارزة موجوداً في الكون، فلا شك ان الشياطين يتقمصون روح الإنسان فيخدعون قسماً منهم ويستهزئون بقسم آخر من السذج والمجانين.

ومن المعلوم ان في الكون وفي كل نوع من أنواع المخلوقات بل في كل طائفة منها نرى الجمال يقابله القبح، والأعلى يقابله الأسفل، والطيب يقابله الخبيث. إذن فلا شك من وجود جماعات طيبة ونورانية وجماعات خبيثة وشريرة ضمن طائفة الروحانيات أيضاً. فتحاول الأشرار منهم إيذاء الطيبين والصالحين من الإنس والملائكة. وبما أنهم لا يستطيعون التعرض على الملائكة وانهم طُردوا من السماء بصراحة القرآن الكريم، فانهم سيحاولون مع الإنسان وهذا ما يفعلونه: { وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ }ِ (الملك:5). { وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً }(الجن:8).

تبين هذه الآيات بأن الشياطين ومردة الجن يحاولون الصعود إلى السماوات لأن لهم قدرة على الحياة فيها وإلقاء شرورهم وتسلطهم على الملائكة. وبمقتضى قانون المبارزة وبمقتضى حكمة خلق الشياطين فان الشيطان يملك التأثير في إدراك البشر وهو مأذون في توجيه الضالين والعاصين والغافلين منهم.

وكانت مردة الجن قبل مبعث الرسول ρ يصعدون إلى السماء ويقعدون في مواضع منها يسترقون السمع ثم ينقلونها إلى الكهان والدجالين مشوبة بالأكاذيب.

* * *

(1) اللمعات لبديع الزمان النورسي ص123-124 .

هل تتلاقى الأرواح ؟

من المكن تلاقي الأرواح بعضها ببعض. بل ان هذا التلاقي واقعٌ ومشهود. وأسطع دليل على هذه الحقيقة هو « الرؤيا الصادقة ». وان هذا التلاقي لا يمكن أن يقع من قِبل الوسطاء والدجالين الذين أصبحوا ألعوبة بيد الشياطين ومردة الجن. لأن سبل ارتباطهم مع الأرواح مسدودة. بل يتم التلاقي بالسمو الروحاني للتقرب إلى عالم الأرواح والاطلاع على أحوالهم وذلك بقطع مراتب أمثال الفناء في الله والبقاء في الله. والسبيل إلى هذا السمو يمر من عبادة الله مخلصاً والانقياد التام لأوامره سبحانه ونيل رضاه. وهذه الجادة هي جادة الأولياء والأصفياء الذين يطلق عليهم بـ « الخواص الأفذاذ ». نعم ان هذه الطائفة المباركة تستطيع الالتقاء مع عالم الأرواح لمقاصد وغايات تتعلق بعالم الملكوت، ولفيوضات وبركات وأسرار وحقائق تتعلق بعالم المعنى.

ومن مقتضيات ألطاف رب العالمين وعنايته أن تقوم علاقات بين أهل الولاية الذين أفنوا أنفسهم في سبيل مرضاة الله مع قسم من العوالم المعنوية والنورانية.

نعم، فكما ان مشاهدة الأولياء الذين هم مظهر تجلي اسم « اللطيف » للأرواح والاستفادة من فيوضاتها وبركاتها ولا سيما رؤية روحانية سيدنا رسول الله ρ والاستفاضة منها، وسيرهم ومشاهدتهم في عالم الملكوت واطلاعهم على أسرارها والاستفادة من الموائد المعنوية النورانية

اللطيفة لا تخالف الحكمة الإلهية، كذلك فان هذه الأحوال لا تخالف القدرة الإلهية ولا تعتبر خارج الممكنات.

وهناك روايات عديدة في آثار السلف الصالح يمكن الرجوع إليها في هذا الخصوص. وفي صدد تأييد هذه الحقائق يؤكد لنا الأستاذ بديع الزمان النورسي (رحمه الله) بقوله :

((... بل الحقيقة عينها والأدب المحض والاحترام اللائق هو أن يحصل ما حصل للأفذاذ من أمثال جلال الدين السيوطي وجلال الدين الرومي والإمام الرباني بالسمو الروحاني – بالسير والسلوك – إلى مرتبة القربية لأولئك الأشخاص السامين والاستفاضة منهم.))[1].

((... غير ان تحضير الأرواح الطيبة ليس هو بالشكل الذي يقوم به المعاصرون من إحضار الأرواح إلى مواقع لهوهم وأماكن ملاعبهم والذي هو هزل رخيص واستخفاف لا يليق بتلك الأرواح الموقرة الجادة، التي تعمّر عالماً كله جد لا هزل فيه، بل يمكن تحضير الأرواح بمثل ما قام به أولياء صالحون لأمر جاد ولقصد نبيل هادف من أمثال– محي الدين بن عربي – الذين كانوا يقابلون تلك الأرواح الطيبة متى شاءوا، فأصبحوا هم منجذبين إليها ومنجلبين لها ومرتبطين معها ومن ثم الذهاب إلى مواضعها والتقرب إلى عالمها والاستفادة من روحانيتها..))[2]

نعم ان الذي جعل هذه الطائفة النورانية تسمو وتترقى وتستفيض إنما هو القرآن الكريم. فاستنبطوا منه الأسرار الربانية والحقائق الإلهية.

نعم، ان جميع المجتهدين استنبطوا أدلة اجتهاداتهم العظيمة وبراهينها من هذه المائدة الربانية. وان جميع الصدّيقين ترقوا إلى قمة الصدّيقية بالمعارف المستنبطة من هذه المائدة. وان جميع حكماء الإسلام ترقوا إلى مرتبة المحققين بحكم هذه المائدة. وان سجود العابدين للمعبود بالحق هو بلطافة وفيوضات هذه المائدة. وان الذي اشبع جميع الأولياء والعارفين بالمشاهدة والمعرفة وجذبهم لها إنما هو فيض وذوق هذه المائدة. وان جميع الأقطاب ترقوا إلى مقام الإرشاد بتعليم وتربية هذه المائدة. وان الذي رفع جميع الفقهاء الأفذاذ إلى مرتبة الحاكم العادل إنما هو دساتير وأسس هذه المائدة. وان الذي أوصل جميع المتكلمين إلى شواهق المنطق والفكر إنما هي حجج وبراهين هذه المائدة. حيث ان القرآن الكريم هو كلام خالق الأكوان. وهو – القرآن الكريم – مربّي الإنسان ومرشد الإنسانية، ووسيلة الهداية وأصدق دليل للبشرية. وبهذا يكون التلاقي مع الأرواح مخصوصاً للطائفة النوارنية التي نشأت وتربّتْ بتربية هذا الكتاب العظيم.

---

(1) الملاحق ص390 .

(1) الكلمات – ص285 .

* * *

هل تُستخدم الشياطين والجن في أمور نافعة ؟

يمكن للإنسان استخدام الجن والشياطين في أمور نافعة ودفع شرورهم.

نعم ان الطائفة النوارنية التي تغلّبت على نفوسها الأمّارة، وحطّمت أنانيتها وبلغت مقام الرضا والصدّيقية، إذا ما طلبت بلسان العصمة من رب العالمين أن يسخر لها الجن والشياطين، فانه جلّ وعلا يجعل هذه الشياطين ومردة الجن مسخرة لهذه الطائفة ومنقادة لها. وبإكسير الولاية تستطيع هذه الطائفة إيجاد علاقة ولقاء معهم واستخدامهم في أمور نافعة.

وقد وردت آيات كريمة في كتاب الله العزيز تتعلق بهذه المسألة منها : ان نبي الله سليمان υ الذي أصبح مظهراً لنعمة السلطنة والنبوة قد سُخّرت له الجن والشياطين – بأمر الهي – وانه استخدمهم في بناء المسجد. حيث طلب υ من رب العالمين بلسان العصمة ان يُسخّر له الجن والشياطين لأجل دوام سلطنته على مملكته الواسعة بعدالة تامة، ومشاهدة أحوال رعيته وسماع شكاواهم والقيام بأعمال سلطنته على أتم وجه. فسخر الله تعالى له الجن والشياطين إحساناً منه لعبده ومعجزة له { وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ } (الأنبياء:**82**).

ويقول بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) : في تفسيره هذه الآية : ((ان الجن الذين يلون الإنسان في الأهمية في سكنى الأرض من ذوي الشعور، يمكن أن يصبحوا خُدّاماً للإنسان، ويمكن إيجاد علاقة ولقاء معهم، بل يمكن للشياطين أن يضعوا عداءهم مع الإنسان ويخدموه مضطرين كما سخّرهم الله سبحانه وتعالى لعبدٍ من عباده المنقادين لأوامره.

بمعنى ان الله سبحانه يخاطب الإنسان بالمعنى الرمزي لهذه الآيات : « أيها الإنسان ! أني اسخّر الجن والشياطين وأشرارهم لعبدٍ قد أطاعني واجعلهم منقادين إليه مسخرين له، فأنت إن سخّرتَ نفسك لأمري وأطعتني، قد تُسخّر لك موجودات كثيرة بل حتى الجن والشياطين ».

فالآية الكريمة تخط أقصى الحدود النهائية، وتعيّن أفضل السبل القويمة للانتفاع، بل تفتح السبيل أيضاً إلى تحضير الأرواح ومحادثة الجن الذي ترشح من امتزاج فنون الإنسان وعلومه، وتظاهر مما تنطوي عليه من قوى ومشاعر فوق العادة، المادية منها والمعنوية. ولكن ليس كما عليه الأمر في الوقت الحاضر حيث اصبح المشتغلون بهذه الأمور موضع استهزاء بل ألعوبة بيد الجن الذين ينتحلون أحياناً أسماء الأموات. وغدوا مسخرّين للشياطين والأرواح الخبيثة، وإنما يكون ذلك بتسخير أولئك بأسرار القرآن الكريم مع النجاة من شرورهم.))[1].

آراء علماء الإسلام وفلاسفة الغرب في الروح

أعطى علماء الإسلام وفلاسفة الغرب جُلّ اهتمامهم بموضوع الروح. وتناولوها فكراً وتأليفاً. وسنقدم أولاً خلاصة آراء علماء الإسلام حول الروح، ومن ثم نعرض بإيجاز آراء الفلاسفة في نفس الموضوع.

الروح عند علماء الإسلام :

إذا أمعنا كتب الفلسفة وعلم الكلام، نرى ان حكماء الإسلام أمثال : (الكندي، والفارابي، وابن رشد.. الخ) متفقين في وجود الروح. ونكتفي هنا بتقديم زبدة آراء (ابن سينا) لكون أفكاره منتظمة وموزونة.

ففي نظر ابن سينا[2] يتكون الإنسان من الجسم والروح. وعندما يكون جسم الإنسان مهيأً للعمل تُرسل الروح إليه. فيكون الجسم كمملكة أو كمصنع لتلك الروح.

وبظهور الجسم إلى الوجود تظهر الروح معه. وتكسب هذه النفس الناطقة (الروح) صفة الأبدية عند دخولها الجسم، فلا تفنى بعد خروجها من الجسم.وان نجاة هذه الروح تكون بالعلم والفضيلة. وتكتسب الروح هذه الفضيلة عند وجودها داخل الجسم. ويسرد ابن سينا هذه الأدلة في هذا الموضوع كما يلي :

---

(1) الكلمات – الكلمة العشرون – المقام الثاني ص285

(1) ابن سينا (980-1037م) أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا ؛ فيلسوف مصري وطبيب مسلم . لقب بالشيخ الرئيس ، ولد في أفشنه ، قرب بخارى ، ودرس العلوم الشرعية والعقلية ، تجاوزت مصنفاته المئتين بين كتب ورسائل تدل على سعة ثقافته وبراعته في العلوم الفلسفية وغير الفلسفية منها (الشفاء) و (القانون) و (النجاة) . توفي ودفن في همذان . (المترجم)

1- توجد في الإنسان آثار وعلامات عديدة لا يمكن إيضاح ماهيتها ما لم نؤمن بوجود الروح. ومن أهم هذه العلامات ؛ هي الحركة والإدراك. ويوجد في طبيعة جسم الإنسان السكون والبطالة. فالحركة هي ضد هذه الطبيعة الجسمانية. إذن فان حركة أي جسم تحتاج إلى ماهية خارجة عن وجود الجسم نفسه.

وبناءً على هذه القاعدة، ولأجل حركة الجسم والتخلص من العطالة والسكون الموجودين في طبيعة جسم الآنيان، يقتضي وجود ماهية خارجة عن ذلك الجسم. وهذه الماهية هي الروح.

ونظراً لعدم وجود الإدراك في طبيعة المادة، فيقتضي عدم وجوده أيضاً في طبيعة مادة جسم الإنسان. بينما الإنسان هو صاحب الإدراك ويمتلك إدراكاً قوياً. وبما إن هذا الإدراك هو ليس من خصائص الجسم، فلابد أنه يصدر من ماهية أخرى. وتلك هي الروح.

2- فكرة الـ (أنا) :.. فنحن عندما ننهمك في أمر هام أو نريد شيئاً ننشغل به عن كل شيء من حولنا وعن كل جزء من أجزاء بدننا، فنحصر كل تفكيرنا في ذاتنا التي تريد الشيء أو بتعبير آخر (الأنا) الذي أريد، وهذا (الأنا) عند ابن سينا النفس وليس الجسم. وهذا الأنا أو الذات مغايرة للبدن.

3- ان الوحدة الموجودة في أفعال النفس تُظهر وحدة المصدر. يقول ابن سينا : « تأمل أيها العاقل في أنك اليوم في نفسك هو الذي كان موجوداً في جميع أمرك حتى أنك تتذكر كثيراً ما جرى من أحوالك فأنت إذن ثابت مستمر لا شك في ذلك. وبدنك وأجزاؤه ليس ثابتاً مستمراً بل هو أبداً في التحلل والانتقاص ...

4- هب أن شخصاً ولد في كامل قواه العقلية والبدنية، ثم غطى وجهه بحيث لا يرى شيئاً مما حوله وتُرك في الهواء أو بالأحرى في الخلاء كي لا يحس بأي احتكاك أو اصطدام أو مقاومة، ووضعت أعضاؤه وضعاً يحول دون تماسها أو تلاقيها، فانه لا يشك بالرغم من كل هذا في وجوده وإن كان يصعب عليه إثبات وجود أي جزء من أجزاء جسمه. فحاجة الإنسان إلى الأعضاء، هي لإقامة علاقات وارتباطات مع المخلوقات. أما وجوده فانه يعرف نفسه حتى لو لم تكن هذه الأعضاء.إذن إن هذه المعرفة هي من صفات (الروح).

5- لا شك ان الجسم الحيواني والآلات الحيوانية إذا استوفت سن النمو وسن الوقوف أخذت في الذبول والتنقص وضعف القوة وكلال المنّة. وذلك عن الأناقة على الأربعين سنة. ولو كانت القوة الناطقة العاقلة قوة جسمانية آلية لكان لا يوجد أحد من الناس في هذه السنين إلاّ وقد أخذت قوته هذه تنقص. ولكن الأمر في اكثر الناس على خلاف هذا. بل العادة جرت في الأكثر انهم يستفيدون

ذكاء في القوة العاقلة وزيادة بصيرة. فإذن ليس قوام القوة النطقية بالجسم والآلة. فإذن هي جوهر قائم بذاته.

6- الحياة في نظر ابن سينا، هي قوة مستقلة تخالف الحس والحركة وتقتضيهما في الوقت نفسه. فالأعضاء المشلولة رغم أنها محرومة من الحس والحركة إلاّ انها ليست محرومة من الحياة. إذن هناك شيئاً ما يمسك بهذه الأعضاء ويقيها من التحلل، وهذا الشيء هو الروح.

والآن نعرض خلاصة أفكار إمام العلوم العقلية والنقلية حجة الإسلام الإمام الغزالي[1] (رحمه الله) :

في نظر الإمام الغزالي (رحمه الله) يوجد في الإنسان كائن ثابت وأصيل إلى جانب جسده وهو الروح. وان الروح هي التي تتصرف في الجسد وليس للجسد أي تصرف في الروح.والإنسان الميت يُرى جسده ولكن روحه لا تُرى. فمثلاً عندما يطبق الإنسان أجفانه فان الموجودات تحجب عن نظره، حتى انه لا يستطيع رؤية نفسه. مع ذلك انه يعلم ان شخصه موجود ولا يساوره في ذلك أي شك. بمعنى ان الإنسان الأساس هو الذي يعرف استقلالية وجوده وان هذا الوجود لا يرتبط بجسده وأطرافه. وهذا الوجود ليس سوى الروح. أما الجسد فهو قالب الروح ومعملها ومدرستها ومعسكرها.

ويقول الغزالي (رحمه الله) : « الروح هو جوهر وليس بعرَض لأنه يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات وهذه علوم، والعلوم أعراض ولو كان موضوعاً والعلم قائم به لكان قيام العرض بالعرض وهذا خلاف المعقول. »[2].

«.. ولا هو جسم لأن الجسم قابل للقسمة والروح لا ينقسم لأنه لو انقسم لجاز أن يقوم بجزء منه علم بالشيء الواحد وبالجزء الآخر منه جهل بذلك الشيء الواحد بعينه فيكون في حالة واحدة عالِماً بالشيء وجاهلاً به فيتناقض »[3].

(وقيل له) ما حقيقة هذه الحقيقة وما صفة هذا الجوهر وما وجه تعلقه بالبدن أهو داخل فيه أو خارج عنه أو متصل به أو منفصل عنه ؟ قال (رحمه الله) : لا هو داخل ولا هو خارج ولا هو منفصل ولا متصل لأن مصحح الاتصاف بالاتصال والانفصال الجسمية والتميز وقد انتفيا عنه

---

(1) الإمام الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ولد في طوس من أعمال خراسان عام (1085م) وتوفي فيها عام (1111م) . فقيه ومتكلم وفيلسوف وصوفي ومصلح ديني واجتماعي ، صاحب رسالة روحية ، كان لها أثرها في الحياة الإسلامية . درس علوم الفقهاء وعلم الكلام على إمام الحرمين ، وعلوم الفلاسفة وبخاصة الفارابي وابن سينا وعلوم الباطنية . اشتغل بالتدريس في المدرسة النظامية وارتحل إلى بلاد كثيرة منها دمشق وبيت المقدس والقاهرة والإسكندرية والمكة المكرمة والمدينة المنورة . (المترجم)

(1) المضنون الصغير على هامش كتاب الإنسان الكامل ص91-93 .

(2) المصدر السابق .

فانفك عن الضدين كما ان الجماد لا هو عالِمٌ ولا هو جاهل لأن مصحح العلم والجهل الحياة فإذا انتفت انتفى الضدان »[1].

ويشبّه الإمام الغزالي البدن بالمملكة فيقول :

« مثَل نفس الإنسان في بدنه أعني النفس اللطيفة (الروح) كمَثَل مَلِك في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصنّاع والعملة. والقوة العقلية المفكّرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل، والشهود له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة إلى المدينة، والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكّار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتدبيراته حتى أنه لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة. كما ان الوالي في مملكته إذا كان مستغنياً في تدبيراته بوزيره ومستشيراً له ومُعرضاً عن إشارة هذا العبد الخبيث مستدلاً بإشارته في آن الصواب في نقيض رأيه وأدبه صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمراً له مسلطاً من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوساً لا سائساً ومأموراً مدبراً لا أميراً مدبراً، استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه. فكذا النفس متى استعانت بالعقل وأدّبت بحمية الغضب وسلطتها على الشهود واستعانت بأحدهما على الأخرى تارة بأن تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ومن عَدلَ عن هذه الطريق كان كمَنْ قال الله تعالى فيه { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ }(الجاثية: 23) وقوله تعالى { وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أو تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ }(لأعراف: 176) { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأوى } (النازعات:40-41) »[2].

وفي نظر الإمام الغزالي (رحمه الله) ان الروح جوهر قائم بذاته، وأنها أبدية ودائمية. فكما أنها تعرف نفسها، فهي تعرف صفات خالقها ووجوده. أي أنها تعرف نفسها وخالقها حتى وإن كانت غافلة عن الكائنات.

وحينما سُئِل (رحمه الله) : « فما الروح ؟ وما حقيقته وهل هو حالٌ في البدن حلول الماء في الإناء أو حلول العرض في الجوهر أم هو جوهر قائم بنفسه ؟ فقال : هذا سؤال عن سر الروح الذي لم يؤذَن رسول الله ρ في كشفه لِمَن ليس له أهلاً له، فإن كنتَ من أهله فاسمع واعلم أن الروح ليس بجسم يحل البدن حلول الماء في الإناء ولا هو عرَض يحل القلب والدماغ حلول السواد في الأسود

---

(3) المصدر السابق .

(1) إحياء علوم الدين ج1 ص6 .

والعلم في العالِم بل هو جوهر وليس بعرَض لأنه يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات. والعرض لا يتصف بهذه الصفات »[1].

« فان قيل : هل هو في جهة (فقال) : هو منزه عن الحلول في المحال والاتصال بالأجسام والاختصاص بالجهات فان كل ذلك صفات الأجسام وأعراضها والروح ليس بجسم ولا عرض في جسم بل هو مقدس عن هذه العوارض »[2]

« فان قيل : لِمَ مُنِع الرسول ρ عن إفشاء هذا السر وكشف حقيقة الروح لقوله تعالى { قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي }(الإسراء: 85). فقال : لأن الأفهام لا تحتمله لأن الناس قسمان عوام وخواص. أما من غلب على طبعه العامية فهذا لا يقبله ولا يصدقه في صفات الله تعالى فكيف يصدقه في حق الروح الإنسانية ؟ »[3].

ويقول (رحمه الله) في صدد توضيحه نفخ الروح لسيدنا آدم υ :

« القصد هو : وإن كان معناه انه جزء من الله تعالى فاض على القلب كما يفيض المال على السائل فيقول أفضتُ عليه من مالي فهذه تجزئة لذات الله وقد أبطلتم هذا وذكرتم ان إفاضته ليست بمعنى انفصال جزء منه (فقال) هذا كقول الشمس لو نطقت وقالت أفضت على الأرض من نوري فيكون صدقاً ويكون معنى النسبة ان النور الحاصل من جنس نور الشمس بوجه من الوجوه وإن كان في غاية الضعف بالإضافة إلى نور الشمس. وقد عرفت ان الروح منزه عن الجهة والمكان وفي قوته العلم بجميع الأشياء والاطلاع عليها وهذه مضاهاة ومناسبة فلذلك خص بالإضافة وهذه المضاهاة ليست للجسمانيات أصلاً »[4].

« (فقيل له) : ما معنى قوله تعالى { قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي } وما معنى عالم الأمر وعالم الخلق. (فقال) كل ما يقع عليه مساحة وتقدير وهو عالم الأجسام وعوارضها يقال أنه من عالم الخلق. والخلق هنا بمعنى التقدير وليس الإيجاد والإحداث يقال خَلَق الشيء أي قدّره. وما لا كمية له لا تقدير فيقال أنه أمر رباني.

فعالم الأمر عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والخيال والجهة والمكان والتحيز وهو ما لا يدخل تحت المساحة والتقدير لانتفاء الكمية عنه »[5].

---

(2) المضنون الصغير ص91.

(3) نفس المصدر السابق ص93

(1) المضنون الصغير ص 95 .

(2) المصدر السابق ص95

(3) المصدر السابق ص95

« (فقيل له) أتتوهم ان الروح ليس مخلوقاً وإن كان كذلك فهو قديم. (فقال) قد توهم هذا جماعة وهو جهل بل نقول ان الروح غير مخلوق بمعنى انه غير مقدر بكمية ولا مساحة فانه لا ينقسم ولا يتحيز.»[1].

بعد أن عرضنا خلاصة آراء حجة الإسلام الإمام الغزالي (رحمه الله) عن الروح، نستمع قليلاً إلى الإمام « فخرالدين الرازي »[2] صاحب « التفسير الكبير ». يقول (رحمه الله) ن الروح :

« ان أساس الإنسان هو الروح. والجسد هو بمثابة معسكر لترقي مرتب الروح. ومما ينبغي معرفته هم : انه رغم تبدل البدن، فان شخصية الإنسان باقية إلى نهاية عمره. والمتغير هو الخلايا التي بحكم أحجار البناء. وان الاختلاف بين المتغير والثابت واضح وبيّن. وهي حقيقة يدركها العقل. إذن ينبغي وجود شيء غير هذا الجسد ».

وقد كتب الإمام الرازي (رحمه الله) سبعة عشرة حجة عند تفسيره لقوله تعالى { وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ } وهنا نقدم قسماً من هذه الحجج :

الحجة الأولى :

ان الإنسان حال ما يكون مشتغل الفكر متوجه الهمة نحو أمر معين مخصوص فانه في تلك الحالة يكون غافلاً عن جميع أجزاء بدنه وعن أعضائه وأبعاضه مجموعها ومفصلها وهو في تلك الحالة قد يقول غضبتُ واشتهيتُ وسمعتُ كلامك وأبصرتُ وجهك، فتاء الضمير كناية عن نفسه. فهو في تلك الحالة عالِمٌ بنفسه المخصوصة وغافل عن جملة بدنه وعن كل واحد من أعضائه وأبعاضه و [يكون] المعلوم غير معلوم. فالإنسان يجب أن يكون مغايراً لجملة هذا البدن ولكل واحد من أعضائه وأبعاضه.

الحجة الثانية :

ان كل أحد يحكم عقله بإضافة واحد من هذه الأعضاء إلى نفسه فيقول رأسي وعيني ويدي ورجلي ولساني وقلبي. والمضاف غير المضاف إليه. فوجب أن يكون الشيء الذي هو الإنسان مغايراً لجملة هذا البدن ولكل واحد من هذه الأعضاء. فإن قالوا قد يقول نفسي وذاتي فيضيف النفس والذات إلى نفسه فيلزم أن يكون الشيء وذاته مغايرة لنفسه وهو محال، قلنا قد يراد به هذا البدن المخصوص وقد يراد بنفس الشيء وذاته الحقيقية المخصوصة التي يشير إليها كل أحد بقوله أنا، فإذا قال نفسي وذاتي فان كان المراد البدن فعندنا انه مغاير لجوهر الإنسان. أما إذا أريد بالنفس والذات

---

(4) المصدر السابق ص95

(5) فخر الدين الرازي (1149–1206م) : هو فخرالدين ابو عبدالله محمد . متكلم وفيلسوف ، ومفسر للقرآن ، كان أبوه خطيباً ، ولهذا سمى ابنه « ابن خطيب الري » درس في الري والمراغة على كبار العلماء . كان شافعياً أشعرياً . ناظر المعتزلة ، واشتغل بالتدريس في الحيرة . لقّب بشيخ الإسلام وانقطع في أواخر أيامه للوعظ وتلاوة القرآن ، متصرفاً عن المجادلات الكلامية . له مصنفات كثيرة منها « أصول الشافعية والمحصول ومناقب الإمام الشافعي » وهي في الفقه . (المترجم)

المخصوصة المشار إليها بقوله أنا فلا نسلم ان الإنسان يمكنه أن يضيف ذلك الشيء إلى نفسه بقوله إنساني وذلك لأن عين الإنسان ذاته فكيف يضيفه مرة أخرى إلى ذاته.

الحجة الثالثة :

ان الإنسان يجب أن يكون عالِماً. والعلم لا يحصل إلاّ في القلب فيلزم أن يكون الإنسان عبارة عن الشيء الموجود في القلب. وإذا ثبت هذا بطل القول بأن الإنسان عبارة عن هذا الهيكل، وهذه الجثة. إنما قلنا إن الإنسان يجب أن يكون عالِماً لأنه فاعل مختار، والفاعل المختار هو الذي يفعل بواسطة القلب والاختيار وهما مشروطان بالعلم. لأن ما لا يكون مقصوداً امتنع القصد إلى تكوينه فثبت ان الإنسان يجب أن يكون عالِماً بالأشياء.

الحجة الرابعة :

أي إذا تكلمتَ مع زيد وقلتَ له افعل كذا أو لا تفعل كذا فالمخاطب بهذا الخطاب والمأمور والمنهي ليس هو جبهة زيد ولا حدقته ولا أنفه ولا فمه ولا شيئاً من أعضاءه بعينه. فوجب أن يكون المأمور والمنهي والمخاطب شيئاً مغايراً لهذه الأعضاء. وذلك يدل على أن ذلك المأمور والمنهي غير هذا الجسد.

الحجة الخامسة :

قوله تعالى { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعِي إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً } والخطاب بقوله تعالى { ارْجِعِي } إنما هو متوجه عليها حال الموت فدل هذا على ان الشيء الذي يرجع إلى الله بعد موت الجسد يكون حياً راضياً عن الله ويكون راضياً عنه الله. والذي يكون راضياً ليس إلاّ الإنسان فهذا يدل على ان الإنسان بقي حياً بعد موت الجسد، والحي غير الميت.فالإنسان مغاير لهذا الجسد.

الحجة السادسة :

ان الإنسان قد يكون حياً حال ما يكون البدن ميتاً. فوجب كون الإنسان مغايراً لهذا البدن. والدليل على صحة ما ذكرناه قوله تعالى { وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } فهذا النص صريح في أن أولئك المقتولين أحياء والحس يدل على أن هذا الجسد ميت.

الحجة السابعة :

ان الإنسان إذا ضاع عضو من أعضائه مثل أن تقطع يداه أو رجلاه أو تقلع عيناه أو تقطع أو رجلاه أو تقلع عيناه أو تقطع أذناه إلى غيرها من الأعضاء، فان ذلك الإنسان يجد من قلبه وعقله انه هو عين ذلك الإنسان الذي كنت موجوداً قبل ذلك إلاّ أنه يقول انهم قطعوا يدي ورجلي وذلك برهان يقيني على أن ذلك الإنسان شيء مغاير لهذه الأعضاء والابعاض وذلك يبطل قول مَن يقول

الإنسان عبارة عن هذه البنية المخصوصة[1].

والآن نقدم آراء شمس سماء التصوف مولانا جلال الدين الرومي في موضوع الروح وهو يصفها في أبيات تحمل معاني سامية وقيّمة كاللآلئ وعميقة كالبحار.

والرومي كسائر أعلام التصوف يقسم الإنسان إلى جسد وروح. فالروح عنده هي الأساس والجسد هو القائم بها. والروح عزيزة والجسد حقير. الروح سلطان والجسد قصره. والروح باقية والجسد فان.

وفي المثنوي الشريف يقول الرومي عن الروح :

منزل الأرواح صدق ووفاء ... منزل الأجسام لون وطلاء
تسكن الأرواح أجساد الأنام ... وهي نور كيف تحيا في الظلام
قال سبّوح إله الملكوت ... فاطر الأكوان قدسي النعوت
أسكن الأرواح أوكار الصور ... فاستجابت حين ناداها القَدَر
هذه الأرواح أطيار الجنان ... فارقت أوطانها للامتحان
هي كالعطر طوته الزهرات ... وهي كالفكر حوته الكلمات
إنما الألفاظ نطق ورسوم ... والمعاني روح هاتيك الجسوم
هبطت من وقتها من لا زمان ... وثوت في أرضها من لا مكان
عالمُ الغيب له السر المصون ... أمره في خلقه كن فيكون
كلّم الورد بسر فابتسم ... عن أريج علم الطير النغم
وهو أيضاً قال سراً للحجر ... فجلا منه عقيقاً للنظر
وهو قد أفضى بسر للسحاب ... فالتوت من فيضه حمر الهضاب
عندما أوحى بسر للتراب ... صار إنساناً له الكون استجاب
وتجلى سره للانبياء ... فتساموا فوق معراج السماء
كم عروس جليت للناظرين ... وهي لا تهدى لكل الخاطبين
انزع الأصبع عن سمع اليقين ... تستجب روحك للروح الأمين
فيد الجسم با انشق الحجر ... ويد الروح لها انشق القمر[2]

---

(1) التفسير الكبير – المجلد / 11 ص41

(1) من كتاب الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي . ترجمة محمد حسن الأعظمي والصاوي علي شعلان « المترجم »

والآن نستمع إلى المفسر والمتصوف الكبير « إسماعيل حقي البورسوي »[1] في تفسير قوله تعالى { قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي } من تفسيره القيّم « روح البيان » وهو يقول :

[قال حضرت شيخي وسندي روّح الله روحه الطاهرة في شرح تفسير سورة الفاتحة للشيخ صدرالدين القنوي (قدس سره) ؛ الخلق : عالم العين والكون والحدوث روحاً وجسماً. والأمر : عالم العلم والإله والوجوب. وعالم الخلق تابع لعالم الأمر، إذ هو أصله ومبدأه { قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي }.

وفي التأويلات النجمية ؛ ان الله تعالى خلق العوالم الكثيرة، ففي بعض الروايات خلق ثلاثمائة وستين ألف عالَم ولكنه جعلها محصورة في عالَمَين اثنين وهما الخلق والأمر كما قال تعالى { أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ } (الأعراف :54)، فعبّر عن عالم الدنيا وما يدرك بالحواس الخمس الظاهرة وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس بالخَلق. وعبّر عن عالم الآخرة وهو ما يدرك بالحواس الخمس الباطنة وهي العقل والقلب والسر والروح والبصيرة بالأمر. فعالم الأمر هو الأوليات العظائم التي خلقها الله تعالى للبقاء من الروح والعقل والعلم واللوح والعرش والكرسي والجنة والنار. وسمي عالم الأمر أمراً لأنه أوجده بأمر كن من لا شيء بلا واسطة شيء كقوله تعالى { وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً }(مريم:9). ولما كان أمره قديماً فما كوّن بالأمر القديم وإن كان حادثاً كان باقياً. وسمي عالم الخلق خلقاً لأنه أوجده بالوسائط من شيء كقوله تعالى { وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ }(لأعراف: 185)، فلما ان الوسائط كانت مخلوقة من شيء مخلوق سماه خلقاً خلقه الله للفناء.

فتبين ان قوله تعالى { قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي } إنما هو لتعريف الروح معناه انه من عالم الأمر والبقاء لا من عالم الخلق والفناء، وانه ليس للاستبهام كما ظن جماعة ان الله تعالى أبهم علم الروح على الخلق واستأثره لنفسه حتى قالوا ان النبي ρ لم يكن عالماً به جلّ منصب حبيب الله عن أن يكون جاهلاً بالروح مع أنه عالم بالله وقد مَنّ الله عليه بقوله { وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً }(النساء:113). أحسبوا ان علم الروح مما لم يكن يعلمه ؟ ألم يخبر أن الله علّمه ما لم يكن يعلم ؟. فأما سكوته عن جواب سؤال الروح وتوقفه انتظاراً للوحي حين سألته اليهود فقد كان

---

(2) اسماعيل حقي (1654 – 1725 م) : من أشهر علماء العثمانيين وشعرائهم وواحد من كتّاب التصوف ، اطلع في أدرنة على فروع المعارف والطريق الجلوتية . بدأ التأليف في العشرين من عمره بمدينة (بورصة) ، أدى فريضة الحج ووصل إلى عدة بلاد ، استقر في بورصة حيث شيّد مسجداً ورباطاً (1724–1725) . ألّف على ما يربي مائة مصنف ما بين رسائل في التصوف وكتُب في الدين طبع بعضها . ومن أهمها (روح البيان) وهو تفسير للقرآن و(روح المثنوي) وهو شرح لمثنوي مولانا جلال الدين الرومي ، و(فرح الروح) وقد طبع ببولاق والقسطنطينية .

« المترجم »

لغموض يرى في معنى الجواب ودقة لا تفهمها اليهود لبلادة طبعهم وقساوة قلوبهم وفساد عقيدتهم فنه وما يعقلها إلاّ العالِمون وهم أرباب السلوك والسائرون إلى الله ك (الإمام الغزالي)][1].

أما المرشد والمفكر الكبير بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) الذي ألفّ موسوعة إيمانية رائعة تسد حاجة هذا العصر وتخاطب مدارك أبنائه تلك هي الرسائل التي استقاها من فيض نور القرآن الكريم وتعالج القضايا والمقاصد الأساسية التي يدور عليها القرآن الكريم : « التوحيد وحقيقة الآخرة، وصدق النبوة، وعدالة الشريعة ». فقد أدى حق هذا الموضوع، وطرح أفكاره بتعابير بليغة ووجيزة في مجال هذه الحقيقة الإنسانية التي أشغلت كثيراً من الأذهان.

ويأتي كلامه في موضوع الروح في المرتبة الأولى بالنسبة للنظريات التي طرحت لحد الآن. وصاغه بعبارات تليق به، وأنطق ما ينبغي إنطاقه في اجمل شكل.

والآن نقدم قسماً من أفكاره وملاحظاته الواردة حول هذا الموضوع محيلين تفاصيلها إلى كليات رسائل النور :

« الروح قانون أمري، حيّ، شاعر، نوراني، وذات حقيقة جامعة، معدّة لاكتساب الكلية والماهية الشاملة وقد ألبِسَت وجوداً خارجياً »[2].

« إن الروح قانون ذو وجود خارجي، وناموس ذو شعور، وهو آتٍ من عالَم الأمر وصفةِ الإرادة، كالقوانين الفطرية الثابتة الدائمة. وقد كسته القدرةُ الوجودَ الحسي، وجعلتْ سيالةً لطيفة صَدَفَةً لذلك الجوهر. إن الروح الموجود أخ للقانون المعقول. كلاهما دائمي وكلاهما آتٍ من عالم الأمر. ولو ألبست القدرةُ الأزلية قوانين الأنواع وجوداً خارجياً لأصبحت روحاً، ولو طرح الروحُ الشعورَ، لأصبح قانوناً لا يموت أيضا.»[3]

« لقد ثبت بالتجربة أن المادة ليست أساساً وأصلاً ليبقى الوجود مسخّراً من أجلها وتابعاً لها، بل هي قائمة بـ« معنى»، وهذا المعنى هو الحياة.. هو الروح..

وترينا المشاهدة والملاحظة كذلك ان المادة لا تكون مطاعة حتى يُرجّع إليها كل شئ، وإنما هي وسيلة مطيعة خادمة لإكمال حقيقة معينة.. هذه الحقيقة هي الحياة.. وأساسها.. هو الروح.

ومن البديهي ان المادة ليست هي الحاكمة حتى يُستجدى على بابها وتطلب أو تنتظر منها الكمالات والمُثُل. بل هي محكومة تسير وفق أساس معيّن وتتحرك بإشارته.. هذا الأساس هو الحياة.. هو الروح، هو الشعور..

---

(1) تفسير روح البيان 5/ ص198 .

(1) الكلمات ص611 .

(2) المكتوبات ص602 .

وتقتضي الضرورة كذلك ان لا ترتبط بالمادة الأعمال والـمُثُل ولا تُبنى على ضوئها، إذ انها ليست لبّاً ولا أصلاً ولا أساساً ولا ثابتاً مستقراً، وإنما هي قشرة وغلاف وزَبَد وصورة مهيأة للتشقّق والذوبان والتمزق.

ألا يُشاهَد كيف أن الحيوانات الدقيقة التي لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة تملك احساسات حادة وقوية حتى أنها تسمع همسات بنى جنسها وترى مواد رزقهم!!.

ان هذا يبيّن لنا بوضوح: ان المادة كلّما صغرت ودقت ازداد انطباع ملامح الحياة وآثارها عليها، واشتدّ نور الروح فيها، أي ان المادة كلما دقت وابتعدت عن مادّيتنا كأنها تقترب اكثر من عالم الروح، وعالم الحياة، وعالم الشعور، فيتجلّى نور الحياة وحرارة الروح بشدّة اكثر..

فهل من الممكن ان يترشح كل ما نرى من ترشحات الحياة والمشاعر والروح وتنساب رقراقة من أغطية المادّة، ولا يكون العالم الباطن الكائن تحت ستار المادة مملوءاً بذوي المشاعر وبذوي الأرواح؟ وهل من الممكن ان يرجع إلى المادة ويسند إليها وإلى حركتها كل ما في عالم الشهادة من ترشحات غير محدودة للمعاني والروح والحقيقة ومنابع لمعاتها وثمراتها، وتتوضح بها وحدها!؟.. كلاّ ثم كلاّ.. بل ان هذه المظاهر غير المحدودة المترشحة، ولمعاتها تظهر لنا ان عالم الشهادة المادي هذا إنما هو ستار منقش مزركش ملقىً على عالم الملكوت والأرواح.»[1]

وقد وضع بديع الزمان النورسي (رحمه الله) نهجاً في إثبات وجود الروح وبقائها يجلب الأنظار إليه، ففي البداية يطمئن عقل الإنسان ووجدانه بالدلائل الأنفسية، ومن ثم يقوّي ويحكم العلم والمعرفة الذي يكتسبها الإنسان بالدلائل الآفاقية.

وعن الدلائل الأنفسية يقول (رحمه الله) :

« أن كل من يدقق النظر في حياته ويفكر مليّاً في نفسه يدرك أن هناك روحاً باقيةً.

نعم. انه بديهي أن كل روح رغم التبدل والتغير الجاري على الجسم عبر سني العمر تظل باقية بعينها دون أن تتأثر، لذا فما دام الجسد يزول ويستحدث - مع ثبات الروح - فلابدّ ان الروح حتى عند انسلاخها بالموت إنسلاخاً تاماً، وزوال الجسد كلّه، لا يتأثر بقاؤها ولا تتغير ماهيتها.. أي أنها باقية ثابتة رغم هذه التغيرات الجسدية، وكل ما هنالك ان الجسد يبدّل أزياءه تدريجياً طوال حياته مع بقاء الروح، أما عند الموت فيجرد نهائياً وتثبت الروح. فبالحدس القطعي بل بالمشاهدة نرى ان الجسد قائم بالروح، أي ليست الروح قائمة بالجسد، وإنما الروح قائمة ومسيطرة بنفسها. ومن ثم فتفرّق الجسد وتبعثره بأي شكل من الأشكال وتجمّعه لا يضر باستقلالية الروح ولا يخل بها أصلاً. فالجسد عشّ

(1) الكلمات ص 600 –601

الـروح ومسـكنها وليـس بردائـها. وإنما رداء الـروح غـلاف لطـيف وبـدن مثـالي ثـابت إلى حـدٍّ مـا ومتناسب بلطافته معها. لذا لا تتعرّى الروح تماماً حتى في حالة الموت بل تخرج من عشّها لابسة بدنها المثالي وأرديتها الخاصة بها.»[1].

وبعد اثبات وجود الروح، يوجه النورسي الأنظار إلى بقائها، وهو يقول :

« وكذلك يمكن الإحساس وجداناً بالحدس القطعي، بأن ركناً أساساً في كيان الإنسان يظل باقياً بعد موته. وهذا الركن الأساس هو الروح، حيث أن الروح ليست معرضة للانحلال والخراب؛ لأنها بسيطة ولها صفة الوحدة. اذ الانحلال والفساد هما من شأن الكثرة والأشياء المركبة. وكما بيّنا سابقاً فان الحياة تؤمّن طرزاً من الوحدة في الكثرة، فتكون سبباً لنوع من البقاء أي أن الوحدة والبقاء هما أساسا الروح حيث تسري منهما إلى الكثرة. لذلك فإن فناء الروح إما أن يكون بالهدم والتحلّل أو بالإعدام؛ فأما الهدم والتحلّل فلا تسمح لهما الوحدة والتفرد بالولوج، ولا تتركهما البساطة للإفساد، وأما الإعدام فلا تسمح به الرحمة الواسعة للجواد المطلق، ويأبى جُوده غير المحدود أن يستردّ ما أعطى من نعمة الوجود إلى روح الإنسان اللائقة والمشتاقة إلى ذلك الوجود.»[2].

« ورأيت فيه (القلب) ايضاً قابلية تمثل مجموع العالم كالخريطة والفهرسة والأنموذج والتمثال.. وان المركز فيه لا يقبل إلاّ الواحد الأحد.. ولا يرضى إلاّ بالأبد والسرمد.. فهذه النواة وهي حبة القلب – ماؤه الإسلام وضياؤه الإيمان – فان اطمأنتْ تحت تراب العبودية والإخلاص، وسُقيت بالإسلام، وانتبهتْ بالإيمان، انبتت شجرةً نورانيةً مثاليةً من عالم الأمر هي روحٌ لعالمه الجسماني. وإن لم تُسق بقيت نواةً يابسةً منكمشة لائقة للإحراق بالنار إلى ان تنقلب إلى النور.»[3].

« انه كما لا تزاحم ولا تصادم بين عالم الضياء وعالم الحرارة وعالم الهواء وعالم الكهرباء (والالكتريقية) وعالم الجاذبة إلى عالم الأثير والمثال والبرزخ. تجتمع الكلُّ بلا اختلاط معك في مكانك بلا تشكّ من أحدٍ منكم، من مزاحمةِ أخيه.. فهكذا يمكن ان يجتمع كثيرٌ من انواع العوالم الغيبية الواسعة في عالم أرضنا الضيقة. وكما لا يعوقنا الهواء من السير ولا يمنعنا الماءُ من الذهاب ولا يمنع الزجاجُ مرورَ الضياء ولا يعوقُ الكثيف أيضاً نفوذَ شعاع (رونتكن) ونورِ العقل وروح المَلَك، ولا يمنع الحديدُ سيلانَ الحرارة وجريان (الالكتريق) ولا يعوق شئ سريانَ الجاذبة وجولان الروح وخدّامه وسيران

(2) الكلمات ص 610 – 611

(1) الكلمات ص 611

(2) المثنوي العربي النوري ص220

نور العقل وآلاته.. كذلك هذا العالمُ الكثيف لا يمنع ولا يعوق الروحانيات من الدوران، والجن من الجولان، والشيطان من الجريان، والمَلَك من السيران..»[1].

« ان المعنى يبقى واللفظ يتبدل، واللب يبقى والقشر يتمزق، والجسد يبقى واللباس يتخرّق، والروح يبقى والجسد يتفرق، و "أنا" يشب والجسد يشيب، والواحد يبقى والكثير يبلى، والوحدة تديم والكثرة تتمزق، والنور يبقى والمادة تتحلل.

"فالمعنى " الذي يبقى من أول العمر إلى الآخر، مع تبديله لأجسادٍ، وانتقاله في أطوار، وتدحرجه على أدوار مع محافظة وحدانيته، يدل على انَّه يتخطى على الموت أيضاً وينسل من كلاليبه، متشقق الجسد، عريان الروح، سالماً في طريق الأبد. »[2].

« ان قلت: ان الإنسان ذرة بالنسبة إلى أرضه، وأرضه ذرة بالنسبة إلى الكائنات. وكذا فرده ذرة إلى نوعه ونوعه ذرة بالنسبة إلى شركائه في الاستفادة في هذا البيت العالي. وكذا جهة استفادة البشر بالنسبة إلى فوائد وغايات هذا البيت ذرة، والغايات التي تحس بها العقول ذرة بالنسبة إلى فوائده في الحكمة الأزلية والعلم الإلهي فكيف جعل العالم مخلوقاً لأجل البشر واستفادته علة غائية؟.

قيل لك: نعم! ولكن مع كل ما مرّ لأجل وُسعة روح الإنسان وتبسط عقله وانبساط استعداده وكثرة وانتشار استفادته من الكائنات.. وأيضاً لأجل عدم المزاحمة والتجزي والمدافعة في جهة الاستفادة كنسبة الكلي إلى جزئياته – إذ الكلي بتمامه موجود في كل من جزئياته لا مزاحمة ولا تجزء – جعل القرآن الكريم جهة استفادة البشر التي هي غاية فذة من ألوف ألوف غايات السماء والأرض في منزلة العلة الغائية كأنها هي العلة بالنظر إلى الإنسان. أي ان الإنسان يستفيد من الأرض عرصةً لبيته والسماء سقفا له والنجوم قناديل والنباتات ذخائر، فحقّ لكل فرد أن يقول: شمسي وسمائي وأرضي. »[3].

« يمكن القول بأن وجود الملائكة والعالم الروحاني ثابت كثبوت وجود الإنسان والحيوان، فكما بَيّنا في المرتبة الأولى من " الكلمة الخامسة عشرة " : ان الحقيقة تقتضي قطعاً، والحكمة تستدعي يقيناً: ان تكون للسماوات - كما هي للأرض - من ساكنين، ولا بدّ أنهم ذوو شعور، وهم متلائمون معها كل التلاؤم. وفي مصطلح الدين يسمّى أولئك الساكنون من ذوي الأجناس المختلفة بـ " الملائكة " و " الروحانيات ".

نعم، ان الحقيقة تقتضي هكذا.. فرغم ضآلة كرتنا الأرضية وصغرها قياساً إلى السماء فان ملأها

---

(3) المثنوي العربي النوري ص244

(1) المثنوي العربي النوري ص69

(2) إشارات الإعجاز ص 203–204

بمخلوقات ذوات مشاعر - بين حين وآخر - وإخلاءها منهم وتزيينها بآخرين جُدد يشير، بل يصرح: ان السماوات ذات البروج المشيدة - وكأنها قصور مزيّنة - لابد أنها ملأى أيضاً: بذوي حياة مدركين واعين الذين هم نور الوجود، ومن ذوي الشعور الذين هم ضياء الأحياء، وان تلك المخلوقات - كالأنس والجن - هم كذلك: مشاهدو قصر هذا العالم الفخم.. ومطالعو كتاب الكون هذا.. والداعون الأدلاّء إلى سلطان الربوبية.. ويمثلون بعبوديتهم الكلية الشاملة: تسابيح الكائنات، وأوراد الموجودات الضخمة...»[1]

«... القيام بالشكر الكلي، ووزن النِعم المدخرة في خزائن الرحمة الإلهية بموازين الحواس المغروزة في جسمك.

فتح الكنوز المخفية للأسماء الإلهية الحسنى بمفاتيح الأجهزة المودعة في فطرتك، ومعرفة الله جلّ وعلا بتلك الأسماء الحسنى.

إدراك درجات القدرة الإلهية والثروة الربانية المطلقتين، بموازين العجز والضعف والفقر والحاجة المنطوية في نفسك، إذ كما تُدرك أنواع الأطعمة ودرجاتها ولذاتها، بدرجات الجوع وبمقدار الاحتياج إليها، كذلك عليك فهم درجات القدرة الإلهية وثروتها المطلقتين بعجزك وفقرك غير المتناهيين. فهذه الأمور وأمثالها هي مجمل "غايات حياتك". »[2].

*** * ***

---

(1) الكلمات ص594

(2) الكلمات ص138

الروح في نظر الفلاسفة

والآن نعرض آراء بعض الفلاسفة المشهورين الذين لهم باع في هذا الموضوع :

إن آراء سقراط[1] في الروح لجديرة بالاهتمام. وهو يعتبر من أشهر فلاسفة العصور الأولى وأكثرهم تأثيراً في نفوس الفلاسفة الذين أتوا من بعده.

إذ كانت الماهية الإنسانية والنفس البشرية موضع اهتمامه في حل معضلة المسائل الفلسفية. فبنى بذلك نظام فكره الفلسفي واستحق عنوان الفيلسوف الأول الذي مال الى الدائرة الأنفسية.

ونستطيع تلخيص آراءه حول الروح كما يأتي :

إن نفس الإنسان يعني (روحه) موجودة في زاوية من عالم الموجودات قبل وجود أجسامهم. ومن ثم تتحد مع الجسم. فالجسم كالآلة التي تحركها الروح، وهو بمثابة إناء لها. وتعود الأرواح إلى المنابع التي جاءت منها بعدما تتفسخ وتتحلل الأجسام. وان اتحاد النفس (الروح) مع الجسد يعود لغايتين مهمتين :

1. **التكامل.**
2. **البقاء.**

ويرى سقراط بأن الإنسان قائم بالروح. وليس للجسم أهمية تذكر سوى اعتباره آلة لتطبيق أعمال الروح، ومركزاً يديره سلطان.فالروح رغم أنها لا تُرى في بدنها إلاّ أنها تتصرف فيه وتديره. وان الجسد فانٍ ومؤقت ومعرّض للزوال. ولكن الروح أبدية ودائمية.

وعندما سُئل سقراط : لِمَ أتى الإنسان إلى هذه الدنيا ؟ وما هي وظيفته ؟ فكان جوابه : إن وظيفة الإنسان هي انسلاله من الأذواق الزائلة للعالم السفلي وسوق روحه بالسياط نحو الأهداف السامية. هذه هي غاية مجيئه إلى الدنيا.

---

(1) سقراط **Socrates** : (**468 – 400** ق . م .) فيلسوف يوناني . استعمل منهج التحاور وأصبح يعرف بمنهج (التهكم) . قضى عمره في تدريس جماعة دروساً في الأخلاق والفلسفة . ووجه نظر الفلسفة المشتغلة في المادة الى مواضع أخلاقية . ولم يكتب سقراط شيئاً . وكان يعتقد كما ذكر تلميذه (أفلاطون) بوجود الله الواحد الأحد ، وبذلك ناقش في هذا الموضوع مع كثير من المتألهين . ومات سقراط الذي كان لا يحتمل الباطل مسموماً من قبل أعداءه في أثينا .

« المترجم »

وقد آمن سقراط بحقيقة الحشر الجسماني والبعث بعد الموت وصدّقها. ونرى عقيدته هذه من خطابه الذي ألقاه أمام القضاة عند محاكمته ؛ قال لهم : « إن الموت الذي هو عبارة عن انتقال الروح من هذه الدنيا، ليس فناءً، بل هو نجاة وتحرر. وفي الحقيقة إن الموت هو رحلة ينتقل الإنسان من خلالها من هذه الدنيا إلى عالم الآخرة. وان جميع الأموات أحياء يعيشون في عالم آخر »

ونستمع الآن إلى فيلسوف آخر من مشاهير القرون الأولى ؛ وهو أفلاطون[1]. وقد قسم أفلاطون الموجودات إلى قسمين اثنين : العلوي والسفلي. وقال إن الروح هي من الموجودات العلوية. وكانت تعيش في أول الأمر في مقامها العالي (عالم المثال)، وكانت شاكرة من حياتها، وتمتلك علماً ولها جناحين الأول يسمى بـ « الحق » والثاني بـ « الخير ». وبعدما نزلت هذه الروح إلى الأرض فقدت جناحيها. وان غايتها الأساس في هذه الدنيا هي إعادة الجناحين المفقودين من جديد. أي كسب صفاتها الحق والخير مرة أخرى.

هذا وقد قسم أفلاطون النفس البشرية إلى أقسام ثلاثة :

1. النفس الشهوانية.
2. النفس الغضبية.
3. النفس الناطقة.

فالنفس الناطقة هي الروح، وهي بداية ومنشأ التفكر، وهي منبع قابلية التفكير في الإنسان. وقد خلقها الله تعالى بدون وسيلة. وليس لها أي شكل ولا يمكن رؤيتها بالعين المجردة. وهي الجوهر والأصل الذي يحرك الجسم. أي أنها تتمتع بقابلية الحركة الذاتية برغبتها ومشيئتها. وهي بسيطة لا تتجزأ ولا تنفصل، وليست مجسمة. وهي مركز جميع أنواع الفعاليات وأنها لاهوتية وأبدية.

وهنا نلتمس الفكر الموجود لدى سقراط والقائل بـ « وجود الروح قبل وجود الجسد » موجوداً أيضاً عند أفلاطون. ويستمر بقاء الروح بعد تجزأ الجسد. وان الروح حياة محضة، والموت عبارة عن افتراق الروح من الجسد. وتبقى حية بعد مفارقتها الجسد وذلك بمقتضى طبيعتها.

وان الانسان يحس ويدرك بوساطة نفسه (روحه). وفي الروح اعتباران : الاول : إنساني والآخر حيواني. ويكون اتصال الروح بالجسد من جهة التدبير والتصرف. وكما لا تتشابه سيماء الانسان بعضها مع بعض، فان ارواحه كذلك لا تتشابه بعضها مع البعض الآخر. حيث تتمايز الارواح فيما

---

(1) أفلاطون **Plato** : (**427 – 347** ق.م) فيلسوف يوناني وتلميذ سقراط ، ولد في أثينا واستخدم أفلاطون منهج الجدل وكتب على نطاق واسع تعاليم سقراط بعد وفاته . ووقف أفلاطون في كتابه « شولن » على اختلاف الروح والجسد . وتناول في كتابه « الدولة » شكل الدولة وأصنافها وأداتها .

« المترجم »

بينها. والروح ليست منفعلة بل هي فاعلة.

ويلتقي أرسطو[1] مع أفلاطون في فكره من ان الروح ليست جسماً بل هي جوهر. وانها في رأيه حادثة أي انها ليست أزلية، بل تخلق مع الجسد. وبعد فناء الجسد تبقى النفس وتعيش الى الأبد.

[وفي رأي أرسطو ؛ ان الروح هي مبدأ الحياة. والحياة هي عبارة عن حركة. وكما ان كل حركة تحتاج الى سرعة محركة ومادة متحركة، فان في الانسان الحي كذلك تعتبر الروح هي المحركة والجسم هو المتحرك. وكما ان الروح ليست جزءاً من الجسد، فانها ليست خارجة عنه أيضاً.

ويختلف أرسطو مع أفلاطون في نقطة واحدة، وهي : ان الروح ليست هي المتحرك بالذات. بل في رأيه انها تتصرف وتحرك دون أن تتحرك هي. وان حركتها لا تشبه حركة رجل يمشي على الأرض، بل انها شبيهة بحركة شخص جالس في القارب وسط البحر].

والروح ليست مادية، وهي تظهر جميع حركات الجسد وتديره.. وهي مبدأ الوظائف الحيوية.

ويعتقد أرسطو في قوله بأن ((الروح هي صورة الجسد)) : بأن الجسد خلق للروح. وان غايته هي خدمة الروح. وهو أيضاً بمثابة آلة للروح وقد خلق في هيئة تساعده للقيام بوظائف وغايات راقية ونظم في أنسب شكل.

وقد تصور أرسطو في قوله : بأن الحياة تنكشف في ظل الروح بأن الروح خمسة أنواع وهي :

1. النفس الغذائية.
2. النفس الحسية.
3. النفس المحرّكة.
4. النفس الشهوانية.
5. النفس العقلية.

أما ديكارت[2] فهو الآخر أدلى بملاحظاته حول الروح. وهو معروف باهتمامه المفرط بالفكر. يقول : ان الروح هي الفكر. والفكر هو الذي يجعل الروح جوهراً. وفي ظل الروح تستطيع الروح أن تعرف نفسها. وتمتلك الروح قابلية التفكر وهي تقوم بذلك أينما كانت. وتمتلك أيضاً قوة العلم.

---

(1) أرسطو Arıstole: (384– 322 ق. م) فيلسوف يوناني وتلميذ افلاطون . ولد في مقدوزنيا وهو من مؤسسي علم المنطق ودافع عن الوقعية . وأصبح استاذاً للأسكندر . وان (منطق) أرسطو لا يزال مستمراً في يومنا هذا . وترجمت كتبه الى لغات عديدة منها العربية . (المترجم) .

(2) ديكارت Descarte : (1596–1650م) : فيلسوف فرنسي وعالم رياضي وفيزيائي ، تجول في أوروبا وهو من مؤسسي الهندسة التحليلية . ومن كتبه الرئيسة هي ((مبادئ الفلسفة)) و ((مقال في المنهج)) . (المترجم) .

وكما ان وجود الروح لا يعتمد على وجود الجسد، فانها ليست محاطة به أيضاً. وليس لها أي شكل ولا تقبل التجزئة. وبذلك لا تسري عليها عملية تفسخ الجسد، وانها لا تموت.

وأما مالبرانش[1] فانه يستند بأفكاره في هذا الموضوع الى الله تعالى والى الإيمان به. ويقول :كما ان جميع الحوادث هي غاية الاسباب والوسائل، فان روح الانسان لا تستطيع الادراك والشعور بدون تأثير من الله تعالى.

وتختلف الروح مع الجسد اختلافاً تاماً ؛ ولا توجد أي رابطة بينهما. وانها ليست حرة طليقة، بل أنها مرتبطة في فعالياتها مع الله. وان المعارف الموجودة في روح الانسان هي من لدن العليم الحكيم.

وفي هذا المجال نذكر آراء الفيلسوف المعاصر برجسون[2] الذي عيّن مساراً جديداً في علم الوجود، وأجرى انقلاباً في عالم الفلسفة ليرتفع بذلك الى موقع متميز.

وفي نظر برجسون ان لشعورنا قشراً ولباً. فجهة القشر هي طبقة العقل والذكاء والمنطق والعلم. حيث تكون هذه الطبقة ملائمة وموافقة للشروط العملية للحياة المادية والاجتماعية وفي فعاليات هذا القسم تجري قوانين العليّة. فلا حرية في هذه الجهة، بل هناك تحديد وتعيين.

أما القسم الآخر فهو الشعور الباطني. ونستطيع أن نطلق عليه بـ ((أنا)). ويعرض هذا القسم كيف تختلف عما كانت لدى القسم الأول من العمل والمنطق والتعيين. فالقسم الأول أصبح كثيفاً ومستقراً بصورة ((أنا)) فهو في اتحاد مستمر وفي ذوبان وحلول دائميين وهذا القسم هو مجال ((أنا)) الحقيقي.

ويرى برجسون أيضاً أن علاقة الروح مع المادة هي شبيهة بعلاقة الدماغ مع الحافظة. وهناك نوعان من الحافظة :

1. الحافظة الميكانيكية.
2. الحافظة الحقيقية.

فالحافظة الميكانيكية هي لأجل ايجاد روابط مع عالم المادة. أما الحافظة الحقيقة فهي الخيال والخواطر. وقد توصل برجسون نتيجة أبحاثه الى هذه القناعة : ان الدماغ ليس هو الحافظة. وإنما الدماغ هو محل استناد الحافظة وآلة طابعة له. وان منبع التفكر هو الحافظة الميكانيكية.

---

(1) مالبرانش : نقولا **Malebranche** (**1638– 1715**م) فيلسوف فرنسي ديكارتي . تطرف في الثنائية التي تفرق بين العقل والجسم . وأنشأ فيها مذهب (التوفقية) . وله كتاب ((البحث عن الحقيقة)) ترجم الى الانكليزية . (المترجم) .

(2) برجسون : هنري (**1859–1941**م) فيسوف فرنسي ، أصبح سنة **1900** أستاذاً بالكوليج دي فرانس . وظفر (**1927**) بجائزة نوبل في الأدب . وهو ثنائي في فلسفته . ومن مؤلفاته الرئيسة ((الزمن والارادة الحرة)) و ((المادة والذاكرة)) و ((الضحك)) وبعضها ترجم الى العربية . (المترجم) .

ولا يمكن في أي حال من الأحوال اعتبار الدماغ بأنه الحالة الروحية كالتفكر. وفي الحقيقة لم يرد ظهور موجودات روحية كالتفكر والذكاء من المادة. فوظيفة الدماغ هي عبارة عن مساعدة عناصر التفكر والشعور للاتصال مع الواقع، والوسيلة للتلائم مع ضرورات الحال.

والظاهر ان برجسون يجد مسألة الادراك التي يقوم العلماء الماديون بإيضاحها بواسطة العلوم الطبيعية، هي مسألة روحية بحتة. ويقبل بوجود حقيقة مختلفة تماماً عن هوية الانسان، وبوجود مخلوق معنوي وحقيقي لا يتصف بأية صفة.

ويرى هذا الفيلسوف المشهور ان الجسم آلة في يد الروح. وان الروح تستفيد من الجسم في توضيح أفكارها. والجسم متوجه نحو العمل باستمرار. فوظيفة الجسم هي العمل : وليست لديه أية قابلية تساعده على اظهار حادثة واحدة من حوادث العقل. وان هذه الحوادث هي أثر قوة مادية وخارجة عما وراء الجسم. وهذه القوة سواء يطلق عليها ((النفس)) أو ((الروح)) فالنتيجة واحدة.

وقد أثبت برجسون في منهجه الذي وضعه، بأن الانسان مخلوق مكون من اتحاد شيئين أحدهما مادي والآخر معنوي. فحطم بذلك عقائد فريقين الأول يؤمن بوجود المادة وحدها، والآخر لم يقبل حقيقة سوى الروح.

وكما بينا في فصل ((الدلائل النقلية على وجود الروح)) بأن صاحب القول الحق في موضوع الروح هو الذات الأقدس Ψ الذي خلق هذه الروح. ومن ثم أقوال الأنبياء (عليهم السلام) المستندة الى الوحي الإلهي. ومن بعدهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء. أما الفلاسفة فان آرائهم مقبولة بنسبة تطابقها مع الوحي الإلهي. وبما أن العقل المجرد لا يكفي لاحاطة الحقيقة من كل جوانبها، فان آراء الفلاسفة لا يمكن قبولها بعينها. وان كل واحد منهم استطاع التقرب من الحق بنسبة معينة، واظهار جهة واحدة من أوجه الحقيقة وذلك حسب قابلية وسعة عقله الشخصي. لذا ينبغي أن يوزن كلامهم بميزان الدين الحق، وقبول أفكارهم المستخلصة من هذا الميزان بكل تقدير، وعدم أخذ آرائهم الخاطئة بنظر الاعتبار.

* * *

المصطلحات المتعلقة بالروح

العقل :

وهو قوة وهبت للانسان لادارك عوالم المادية والمعنوية. وبواسطة العقل يكسب الانسان العلم والحكمة. وان العقل رغم تقربه من المادة من جهة الفعل والتدبير، إلاّ انه مجرد عن المادة في ذاته. وهو جوهر بحيث جعله الله تعالى – بإحسانه – نوراً لروح الانسان وليستكشف بوساطته حقائق الأشياء.

والعقل نور يرتقي به الانسان الى قمة الكمالات. وهو آلة ادراك يتميز بها الانسان عن الحيوان. وهو أساس جميع الفضائل والمعارف. وقد خلقه الله تعالى ليكون أساس الدين وركن العالم. حيث توجهت اليه الاديان. وكما ان نظام العالم وميزانه قائم به، فان السعادة الأبدية تتحقق بوساطته.

ويتوصل العقل في مسألة معينة الى حكم قطعي بايجاده النقاط المشتركة بين الاشياء والحوادث. وذلك بترتيب تلك الاشياء والحوادث وتحليلها حسب قواعد المنطق. فيطبق نتائج العقيدة أو المبدأ في الفعل والعمل. ويقوم العقل بتأمين التطابق بين المفاهيم والموجودات الخارجية. فيدرك بوساطة القياس وبمعاونة معلوماته ما كان مجهولاً له. وبتفكره من الجزئي الى الكلي ومن الكلي الى الجزئي يتوصل الى النتائج.وبذلك يعمل العقل على حل أسرار الموجودات وماهيتها وحقائقها بعلوم ظاهرية ونظرية.

وللعقل ثلاث مراتب : الحكمة والتهور والغباوة.

فالحكمة : هي مرتبة الوسط للعقل. وهي امتثال الحق بعدما يراه حقاً واجتناب الباطل بعد ما يراه باطلاً. وبوساطة الحكمة يقوم العقل بجلب المنافع ودرء المفاسد. وبذلك يؤدي هذا العقل صاحبه الى التقوى والعمل الصالح.

أما التهور، فهي مرتبة الافراط في العقل. ويمتلك صاحبها ذكاءً مكّاراً يُظهر به الحق باطلاً والباطل حقاً.

وأما الغباوة : فهي المرتبة التي لا يعي صاحبها أبسط الأشياء ولا يكون لديه علم بها.

يقول الرسول ρ ((أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل، ثم قال لها أدبر فأدبرَ ثم قال الله عزوجل، وعزتي وجلالي ما خلقتُ خلقاً أكرم عليّ منك، بكَ آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب))[1].

ويقول سيدنا عمر τ : ((أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، ومروءته خلقه))[2].

---

(1) رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابي أمامة وأبو نعيم من حديث عائشة باسنادين ضعيفين .

(2) الكشكول ؛ محمد بهاءالدين العاملي ص3 .

وقد قسم حكماء الإسلام العقل الى أربع مرتب :

1- العقل الخيالي : وهو عبارة عن استعداد مطلق لادراك العلم والحكمة. أي انه قوة جاهزة لكسب العلم. مثال ذلك عقل الاطفال.

2- العقل المَلَكي : يعرف العقل – في هذه المرتبة – الحقائق المتعلقة بالاشياء بصورة صحيحة ومستقيمة. أما المجهولة منها فانه يتوصل اليها عن طريق القياس.

3- العقل الفعلي : ينتقل العقل في هذه المرتبة بعمل جاد وبسرعة الى النظريات. وبذلك يمكنه التوصل الى حقيقة أي شيء بتوجه قليل منه. فمثلاً يستطيع الوصول الى علم خلال ساعة واحدة او يوم واحد، في حين لا يستطيع أي شخص الحصول عليه خلال سنة واحدة.

4- العقل المستفاد : وهذه المرتبة هي هبة من الله تعالى. ويعبر عن هذه المرتبة بالعلم الحضوري. حيث تكون العلوم النظرية حاضرة لديه. أي ان العلوم والحقائق النظرية تكون مكشوفة وظاهرة لدى الشخص الذي يكون مظهراً لهذه المرتبة. وهذا المقام يختص بالأنبياء والخواص من الأولياء.

القلب :

ينظر الى القلب بمعنيين الأول : مادي، والآخر معنوي.

1- القلب المادي : وهو قطعة لحمية صنوبرية الشكل تتكون من عضلات قوية. وهو في هذا المعنى يقوم بتوزيع الدم الذي يعتبر ماء الحياة الى انحاء الجسم. وهذا القلب هو مفتاح الحياة. فالحياة قائمة بعمله، ومتى ما توقف عن العمل انتهت الحياة.

2- القلب المعنوي : لقد أطلق أهل المعرفة والحكمة على القلب المعنوي – الذي هو سر إلهي ومعكس الأسرار الربانية – باللطيفة الربانية. وسبب تسمية هذه اللطيفة بالقلب لتقلبها باستمرار، وان الله سبحانه بلطفه وكرمه أحسن الى عباده بهذا القلب الذي هو محل المعرفة والفيوضات وذلك لإظهار معرفته ومحبته سبحانه لهم.

فمعرفة العبد ومحبته لله تعالى تكون بهذا القلب. والقلب هو مهد ومسكن ومنبع ومركز جميع الفضائل والرذائل. وهو في انشراح دائم وفي تحول مستمر من حال الى حال عند قيامه بوظائفه المودعة لديه بشوق ونشوة. وتقوم هذه اللطيفة المليئة بالأسرار بعرض نتائج فعاليتها الجياشة المكنونة لديها وإظهار أسرارها الباطنة عن طريق اللسان والعين والأذن واليدين والرجلين.

فينبغي عدم فتح باب قصر مليء بالأسرار أو فتح زبانة حوض مليء بالماء مرة واحدة دون علم ومعرفة. ولا بد لأية ثكنة عسكرية من تعليمات الدخول للثكنة والخروج منها. فعلى الانسان أن لا

يسمح بكل ما يسمعها من الكلمات بالدخول الى قلبه او الخروج منه.

أوحى الله تعالى الى موسى υ : ((يا موسى إني خلقتُ في صدر عبدي قصراً سميته القلب. فجعلت المعرفة أرض هذا القصر، والايمان سماؤه، والشوق شمسه، والمحبة قمره، والهمة ترابه، والخوف رعده، والرحمة مطره، والوفاء شجره، والحكمة ثمراته، والفراسة نهاره، والمصائب ليله. وجعلت أبوابه العلم والحلم واليقين والصدق، ومفتاحه هو الفكر. ولن يطلع عليه سواي)).

ويقول الشيخ عبدالقادر الكيلاني[1] – قدس سره – في إيضاحه هذه الحقيقة : ((أول ما يشرق في قلب المؤمن هو نجم الحلم. ومن ثم قمر العلم، فشمس المعرفة. فيعيش هذا المؤمن حياته بضياء الحلم وينوّر أخرته بنور العلم. وينظر الى مولاه بشمس المعرفة.

والآن نبين طبقات القلب ونتطرق بايجاز الخصائص المتعلقة بأطوار هذه الطبقات :

للقلب المعنوي سبع طبقات، فكما ان في كل طبقة من طبقات السماء مقاماً لنبي من الأنبياء – عليهم السلام – فكذلك ان في كل طبقة من طبقات القلب طور وحال مسيطر عليها.

يطلق على سماء الطبقة الاولى للقلب بـ (الصدر)، حيث ينشرح الصدر ويتسع بالايمان والمعرفة. والصدر في الانسان شبيه بعالم الفضاء، فمثلما تسير النجوم والشموس في مسارها في عالم الفضاء، فان لطائف وحواس مختلفة تسير وتجول في فضاء صدر الانسان.

نعم ان الصدر هو ميدان جميع المعارف الإلهية والقدسية، وسماء نجوم المعنويات وعرش الفيوضات والكمالات. ومن هذا العرش ينهمر الطمأنينة والسرور كالمطر. وبذلك ينشرح صدر الانسان ويطمئن قلبه.

وفي هذه الحالة تستطيع الروح بلطف الله Y أن تتغلب على كل مشكلة في حاضرها ومستقبلها وفي الدنيا والآخرة. وتخرج من الضلالة الى الهدى ومن الاتراح الى الافراح ومن الضيق الى السعة وذلك مثلما شرح الله صدره نبيه محمد ρ وجعله أوسع من الفضاء ووهب له كمال الاطمئنان والراحة والانشراح.

أما سماء الطبقة الثانية فهو (القلب)، والقلب هو محل الايمان وفيه بشع نور الهداية. وهذا القلب يحب الله ويتوجه اليه ويتلذذ من معرفته سبحانه.

ويطلق على سماء الطبقة الثالثة بـ (الشغاف) وفيه يشع نور المحبة وتسطع شمس العشق والشوق.

---

(1) الشيخ عبدالقادر الكيلاني : ابن ابي صالح ابو محمد الجيلي ، ولد سنة 470هـ . ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقه على ابي سعيد المخزمي الحنبلي . كان من سادات المشايخ من مصنفاته : كتاب الغنية وفتوح الغيب والفتح الرباني . توفي وله تسعون سنة ودفن بالمدرسة التي كانت له سنة 561 هـ . (المترجم) .

ومن هذا الطور يتلذذ الانسان بحلاوة الايمان ولذة المعرفة والمحبة. ويكون قلب الانسان سليماً وعقله كاملاً.

ويطلق على سماء الطبقة الرابعة بـ (الفؤاد)، وفيها يحصل نو المشاهدة والكشف والكرامة. وفيها تنزاح حجب عوالم المعنى والملكوت. وهذه الطبقة يتوج اليها النظر الإلهي.

ويطلق على سماء الطبقة الخامسة بـ (حب القلوب). وفي هذه الطبقة تكون محبة الله في أكمل مرتبة ومن ثم تنقلب هذه المحبة الى العشق، وفيها يترك حب الدنيا كلها.

وسماء الطبقة السادسة هي (السويداء). وهذه الطبقة هي خزينة الأسرار الربانية. وفيها تشع أنوار العلوم الباطنة. وتشبه هذه السماء بمرآة ذات وجهين تتوجه الى عالم الشهادة وعالم الغيب معاً. وبنسبة لمعان هذه المرآة تنكشف لها أسرار لا يعلمها حتى الملائكة. بقول الرسول ρ ((لي مع الله وقت لا يَسَعني فيه مَلَك مقرّب ولا نبي مرسل))[1].

ويقول الشاعر

سويداء قلبي أصبحت حرَماً لكم

تطوف بها الأسرار من عالم اللطف

وأما سماء الطبقة السابعة فهي ((سر القلوب)) وهذه الطبقة هي محل تجلي الأنوار. وان الله تعالى يفتح في قلوب عباده الذين اصطفاهم وشاء لهم الخير باباً يريهم من خلاله عوالم العجائب والغرائب.

وقد استنبط علماؤنا الأجلاء ψ كل طبقة من هذه الطبقات السبع من آية قرآنية معينة.

الوجدان :

عندما يتصور الانسان بفكره شيئاً ويصدقه الوجدان بعد ذلك نتيجة المحاكمة يكون هذا العلم علماً يقينياً، أي علماً بعيداً عن الشك والريب. وبهذا التصديق يتعلق اطمئنان القلب وسكينته. والوجدان ميزان حساس يزن الكيفيات والحالات من الألم والرجاء والسرور والحزن والمحبة والعداوة والحسن والقبح والحق والباطل. وانه لا يخطأ أبداً ولا يغفل النفس الناطقة (الروح). والوجدان حس

---

(1) يقول الامام الرباني في مكتوباته عن هذا الحديث الشريف ((بعد تسليم صحة هذا الحديث أن بعض المشايخ قد أراد بالوقت الواقع في الحديث وقتاً مستمراً أي لي مع الله وقت مستمر ، فلا إشكال . (وثانياً) ان الوقت المستمر قد تعرض فيه أحياناً كيفية خاصة يمكن أن يكون المراد بالوقت الوقت النادر ويكون المراد به هذه الكيفية النادرة . فعلى هذا يرتفع الإشكال أيضاً . ويمكن أن يكون في حديث (وقرة عيني في الصلاة) اشارة الى هذه الكيفية النادرة . (وورد) أيضاً في الخبر أقرب ما يكون العبد من الرب في الصلاة . وقال الله تعالى { وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ } ولا شك ان كل وقت يكون القرب الإلهي فيه أزيد يكون مجال الغير فيه أشد انتفاء ففهم من هذا الحديث وهذه الآية أيضاً ان ذلك الوقت في الصلاة .)). المكتوبات ج1 ، ص307 . (المترجم)

معنوي يزن الأفعال والتصرفات والأفكار والآمال والميول الحسنة والشريرة.

ومثلما يقوم الانسان بوجدانه بأداء وظائفه تجاه خالقه، فانه يقوم أيضاً بمسئوليته تجاه مجتمعه. والخلاصة ان الوجدان هو ميزان الانسان.

القوة الخيالية :

الخيال هو احدى خزائن الحس المشترك.ويقوم الحس المشترك بتحويل المعلومات المكتسبة بوساطة الحواس الخمس الى الخيال. فمثلاً يقوم الحس المشترك بالتقاط الصور المرئية والاصوات المسموعة ويسلمها الى الخيال قبل ضياعها وتشتتها. فهو يودع كل ما تلتقطها الحواس الخمس من الاشكال الى الخيال. كما هو الحال في جهاز التصوير الذي يثبت الصور على الورق. وكذلك الانسان فانه يستطيع التعرف على الشكل الذي رآه مسبقاً او الصوت الذي سمعه من قبل. ويستطيع أيضاً بوساطة هذه القوى بين فترة واخرى تخيل معالم مدينة سبق له أن زارها او صوت سمعه.

والوظيفة الاخرى للخيال هي خزن المادة الاساسية التي يحتاج اليها الذهن. أي بمعنى إعداد الاشياء التي تأتي من الخارج بوساطة الحس المشترك وجعلها رأس مال للذهن.

ان مثل الخيال كمثل رحى يقوم بتصنيف المعادن المركبة المستخرجة من الجبال. فكما ان هذه المعادن المركبة تصنف حسب خواص كل معدن بعد مرورها في مصافي كيمياوية عديدة، فان الأفكار الأولية المركبة التي سلمها الحس المشترك الى الخيال، تصنف وتحلل بعد مرورها في مصفى التصور. وان المعلومات المكتسبة في الحافظة تكون مسجلة ومثبتة تحت أصناف، بينما تكون هذه المعلومات مشتتة متبعثرة وغير نظامية في الخيال.

وللخيال وظيفة اخرى، وهي معاونته الانسان على أعمال سينجزها في المستقبل. فمثلاً ان الانسان يتخيل بالشيء الذي يرغبه ومن ثم يتصوره وأخيراً يبحث عن سبل تحقيق ذلك الشيء. نعم لو آمن الانسان بتحقيق ما في خياله لمستقبله فان ثقته تزداد وينجو من اليأس. وأما إن لم يعتمد على ذلك فانه يقع في اليأس. فالخيال في هذه الحالة يصبح عالم الآمال ومصدر تسلي كبير للانسان. فمثلاً لو خسر تاجر في تجارته سنة واحدة، فانه لا يقلق بذلك لتخيله ربحه في المستقبل فيتسلى بذلك.

وان الأشياء المتخيلة يمكن أن تكون سبباً للسعادة وللشقاوة والطالة على حد سواء. لأن الانسان لو لم يتحكم على خياله بفكره، فان هذا الخيال سيولد سفسطات كثيرة، فيظهر الأشياء المضرة والباطلة أشياء جميلة. فالخاصية المهمة للانسان هي تمييز الحقيقة عن الخيال. وذلك بتحكمه على التصورات.

القوة الحافظة :

وهي مركز تسجيل الأشكال والصور والأصوات والمعاني والخواطر والحوادث والألوان والكيفيات. بمعنى انها أرشيف العقل. فهذه الأشكال والصور الصادرة من الحواس الباطنة والظاهرة تنسج على هذه القوة. فمثلاً : عندما يلتقي شخصان للمرة الثانية فان أحدهما يعرف الآخر، لأن صورة كل واحد منهم طبعت في حافظة الآخر عند اللقاء الأول. و تتقوى هذه الحافظة بوساطة الدقة والتكرار والاعتناء.

القوة الوهمية :

وهي القوة التي تشغل الانسان بالمخاوف والأوهام. حيث تقوم هذه القوة بتصوير الأشياء الممكنة او المحالة بضخامة وبصورة غريبة. فيستطيع الانسان بهذه القوة تخيل آلاف الشموس أو تخيل وجود جبل القاف[1]. او طير العنقاء[2] الذي لا اصل لهما.

واذا ما غلب الانسان أمام قوته الوهمية، فانه يظهر سفسطات وخدع تخالف الدلائل النقلية والعقلية وتخالف الحق والحقيقة. وجميع المعتقدات الباطلة هي من ثمار تغلب هذه القوة. وان غاية اعطاء هذه القوة للانسان هي لأجل الامتحان والاختبار فحسب. وقد أستعاذ أولياء عظام من غلبة الوهم على الفهم.

القوة المتصرفة :

سجل علماء الفلاسفة وجود قوة يطلق عليها بالقوة المتصرفة، وهي الحس الخامس. وتتصرف في هذه القوة القوى الوهمية والعقلية.أي ان القوة المتصرفة تعبر بمثابة مصنع لهاتين القوتين.

ويطلق أيضاً على هذه القوة بالقوة المفكرة باعتبارها مختبر العقل، وبالقوة المتخيلة باعتبارها محل عمل القوة الوهمية. أي ان الإنسان يستطيع بهذه القوة استنباط أشياء لا حقيقة لها بتصرفه في الصور التي يحس بها بعد تحليلها وتركيبها. فمثلاً : يصور إنساناً له رأسان وأربعة أرجل.

---

(1) جبل القاف : قال المفسرون انه جبل محيط بالدنيا وهو من زبرجد خضراء منه خضرة السماوات ووراءه عالم وخلائق لا يعلمهم إلاّ الله . (كتاب عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات) للقزويني ج2 ، ص239 .(المترجم).

(2) العنقاء : طائر خرافي في أساطير المصريين القدماء يقال انه لما بلغ (500) سنة من عمره أحرق نفسه ، وبرزت في رماده عنقاء أخرى . وهو رمز البعث او الخلود . كان موضوعاً محبباً عند الوثنين والمسيحيين . عرفه العرب وعدوه في شعرهم أحد المستحيلات الثلاثة – في المثل السائر – وهي : العنقاء والغول والخل الوفي . (المترجم) .

وعندما تعمل القوة العقلية في مصنع القوة المتصرفة فانها يطلق عليها بـ (القوة المفكرة) ولكن القوة الوهمية لا تستطيع التقرب منها. وأما اذا ما تخلى العقل عن وظيفته في هذا المصنع فان القوة الوهمية تبدأ بعملها.

الحس المشترك :

وهو القوة الموضوعة في مقدمة الدماغ. ويقوم هذا الحس بجمع المعلومات والاشكال والصور والاصوات الملتقطة من قبل الحواس الخمس من العالم الخارجي ونقلها إلى الحواس الباطنة.

وتُجمع صور الاشياء الملتقطة من قبل الحواس الظاهرة في هذا الحس. ويمكن تشبيه هذا الحس بجهاز التلفزيون الذي يقوم بالتقاط وبث الصور والاصوات والاشكال والالوان. فوظيفة الحس المشترك هي ترجمة الايعازات الواردة من الخارج الى الداخل وبالعكس.

ان المعاني المتولدة في القلب تصل الى الدماغ بشكل مجرد، ومنه الى الحس المشترك بعد مرورها من صفحات التخيل والتصور والتعقل الموجودة في الدماغ ومن ثم تلبس صورتها وتنتقل من الحس المشترك بعد تعلقها بالارادة الى العالم الخارجي عن طريق الحواس الظاهرة.

القوة الشهوية :

هي القوة التي تأخذ الاشياء النافعة وتكتسبها. ويطلق عليها أيضاً بـ (القوة المحركة). وبوساطة هذه القوة تتحقق الرغبات والآمال. ((وتفريط القوة الشهوية الخمودة وعدم الاشتياق الى شيء ؛ وافراطها الفجور بأن يشتهي ما صادف حلّ أو حرم. ووسطها العفة بأن يرغب في الحلال ويهرب عن الحرام وقس على الأصل كل فرع من فروعاته من الأكل والشرب واللبس وأمثالها))[1].

القوة الغضبية :

يطلق على القوة الدافعة للمضرات بـ (القوة الغضبية). وعن طريق هذه القوة يحافظ الانسان على حياته بدرئه المفاسد عن نفسه. ويقول بديع الزمان النورس – رحمه الله – في توضيحه هذه القوة : ((تفريط القوة الغضبية الجبانة أي الخوف مما لايخاف منه والتوهم. وافراطها التهوّر الذي هو واد الاستبداد والتحكم والظلم، ووسطها الشجاعة أي بذل الروح بعشق وشوق لحماية ناموس الاسلامية

(1) اشارات الاعجاز ص33.

واعلاء كلمة التوحيد))[1].

((وإن لم تسلك القوة الغضبية طريق الشجاعة التي هي حد الاستقامة، هوت بالافراط في تهور وتجبر ذي أضرار بالغة وظلم شنيع وبالتفريط الى كثير من التخوف والتجبن المذل المؤلم فتعاني عذاباً وجدانياً دائماً جزاءً لما ارتكب من خطأ فقدها حد الاستقامة))[2].

النفس :

قسّم أرباب المعرفة والحكمة النفس في الانسان الى أقسام أربعة : النفس الطبيعية، النفس النباتية، النفس الحيوانية، النفس الانسانية.

1- النفس الطبيعية :

وهي القوة التي تربط أجزاء من الانسان بعضها مع البعض الآخر وتمنعه من التجزء والتحلل.

2- النفس النباتية :

وهذه القوة تساعد الانسان على النمو. ومن وظائفها هي البحث عن الرزق والحصول عليه، والاكل والشرب. وعملية الهضم في المعدة، وتقسيم الغذاء المفيد للجسم الى الاعضاء واخراج الضار والغير الضروري منه وطرحه خارج الجسم، وتحضير النطف الضرورية لدوام النسل.

3- النفس الحيوانية :

وهي قوة الديمومة والشهوة والحركة.

4- النفس الانسانية (النفس الناطقة) :

وهي جوهر مجرد عن المادة، او هي الجسم اللطيف عليها بالروح. والروح هي سلطان الجسد. ولكنها تقوم باجراء تصرفاتها في اجزاء الجسد عن طريق النفس الحيوانية.

هذا وقد شبه اهل التفسير، الروح الطبيعية بالمشكاة ؛ والروح النباتية بالفتيلة، والروح الحيوانية بالوقود، والروح الانسانية بالزجاجية.

طبقات النفس :

1- النفس الأمّارة :

---

(2) اشارات الاعجاز ص33.

(3) الشعاعات / ص650

تكون هذه النفس تابعة لالقاءات الشيطان واغراءاته وبدون اعتراض، وهي دائماً تأمر بالمنكر فتجعل الانسان تابعاً لميول ولذات غير مشروعة وبهذه الصورة تكون النفس الامارة عدوة المؤمن. وفي الحديث الشريف اشارة الى هذه النفس في قوله ρ (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)[1].

2- النفس اللوامة :

وهي النفس التي تلوم ذاتها وتتعذب بعذاب الوجدان، باحساسها بالندم على ما قام بها من سيئات تحت ضغط وتضييق النفس الأمارة. وهذه النفس مهما لامت ذاتها وقيّمتها، فانها تميل الى السيئات وترغب بها. حتى انها لم تتطهر تماماً من بعض مخلفات النفس الأمارة. حيث تستمر استمالتها نحو الشهوة غير المشروعة، ولكنها تتألم من هذا الموقف.

وان هذه النفس رغم قيامها بعبادتها لله تعالى، فانها تميل الى الرياء. إلاّ ان وجدانها يكون قلقاً من هذا الرياء. وانها ليست بريئة تماماً من المخاطر والزلل.

ولكي ينجو الانسان من مخاطر هذه النفس يلزم عليه اشباع فكره وعقله بالحقائق الايمانية ومجاهدة هذه النفس. عندئذ يطمئن قلبه ويفيض بالمحبة وباللذة المعنوية. فلا يكون مغلوباً أمام وساوس نفسه، ولا ينخدع بتلقينات شهوته.

3- النفس الملهمة :

ينجو الانسان من النفس اللوامة ويدخل في النفس الملهمة باتباعه القرآن الكريم والسنة المطهرة، وبتركه المحرمات والدخول في دائرة التقوى. وان سبب تسميتها بهذا الاسم هو : لأجل الالهام الحاصل من الله تعالى على صاحب هذه النفس من فيض وانوار وحكم ومعارف. وفي هذه المرتبة تبرز مزايا عالية كالعلم والحلم والعفة والصبر والتواضع والتواصي بالحق والجهاد.

4- النفس المطمئنة :

وهي النفس المتصفة بالأخلاق الحسنة، واطمأنت وحظيت بالقرب الإلهي وتطهرت من الصفات القبيحة. والانسان المالك لهذه النفس يكون حليماً وسليماً ومتوكلاً، وجاعلاً حركاته مطابقة للسنة النبوية المطهرة، وبذلك يمطئن قلبه. لذا يجد المصاحب لهذا الانسان المالك لهذه النفس السكينة والسرور، ويتعين لديه العلم الوهبي بعد انتقاله الى مرتبة معينة. فيكون عالماً بأسرار القرآن الكريم وحقائق الأشياء.

---

(1) (أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك) رواه البيهقي في الزهد باسناد ضعيف وله شاهد من حديث أنس .. والمشوهور على الألسنة (أعدى عدوك ..) إ . هـ . (كشف الخفاء 143/1) . قال العراقي في تخريج الإحياء (كتاب عجائب القلب).اخرجه البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس ، وفيه محمد بن عبدالرحمن بن غزوان احد الوضاعين . إ . هـ . . وقال الزبيدي في شرح الإحياء 206/7 تعقيباً على العراقي . ووجدت بخط ابن حجر ما نصه : وللحديث طرق اخرى غير هذه من حديث انس . (المترجم) .

5- النفس الراضية :

يطلق على النفس التي تركت جميع رغباتها وشهواتها المشروعة والغير المشروعة، وبلغت لديها رغبة تحصيل مرضاة الله تعالى، مرتبة الكمال بالنفس الراضية. وفي هذا المقام من النفس لم يبق أي اثر للعجز البشري، فتكون حركاتها في سبيل مرضاة الله تعالى.

6- النفس المرضية :

وهي النفس التي حظيت برضاء الله تعالى وقبوله، وان صاحب هذه النفس قد بلغ درجة الكمال في نسيان الرغبات البشرية وإن كانت في دائرة الحلال. واستسلم كلياً لارادة الله تعالى. فمثل هذا الانسان يعفو ويصفح عن جميع الاهانات المتوجهة اليه. فيشفق ويرحم الجميع وينورهم بالمعارف ويخلصهم من ظلمات الجهل ويكون ممن يؤثرون على أنفسهم، وتكون روحه وقلبه بمثابة ينابيع الانوار ومصدر الاسرار.

7- النفس الكاملة :

يطلق على النفس التي بلغت درجة الكمال في العلم والورع والخلق الحسن وأخذت على عاتقها وظيفة ارشاد الناس، بالنفس الكاملة. ويكون صاحب هذه النفس والذي بلغ مقام الارشاد في مجال المعرفة، موظفاً معنوياً لاكمال مقامات الآخرين. فيكون خطابه علوماً وحِكماً، وتفيض قلوب اصحابه بمحبة الله تعالى[1].

قوى النفس الجسمانية (النباتية والحيوانية) :

للنفس الجسمانية خمس قوى :

1. **القوة الغذائية : وهي قوة الأكل والشرب وأخذ الغذاء.**
2. **القوة النامية : وهي قوة النشوء والنماء.**
3. **القوة المولدة : وهي قوة التوالد والتكاثر.**
4. **القوة المصورة : وهي القوة التي تلبس صوراً وأشكالاً للاشياء المتولدة من القوة المولدة. حيث تأخذ النطف المستقرة في الارحام او النوى المزروعة تحت التراب باذن الله تعالى بوساطة هذه القوة أشكالاً وصوراً معينة.**

---

(1) (ألاَ أنبئكم بخياركم ، خياركم الذي اذا رؤوا ذُكر الله) رواه احمد في مسنده وابن ماجه عن اسماء بنت يزيد . حديث حسن .

وهاتان القوتان الأخيرتان ضرورية لدوام النوع وبقائه.

5- القوة المميزة :

وهي القوة التي تميز الغذاء الطازج عن الكثيف وترسله الى المكان المناسب له. وتقوم بتوزيع أفضل الأغذية الى الدماغ ومن ثم الى الكريات البيض وبعدها الى الاعضاء الاخرى وذلك حسب أهمية الغذاء.

القوى الهضمية :

تنقسم هذه القوى الى أقسام أربعة :

1- القوة الجاذبة :

وهي القوة التي تحمل الغذاء الحاصل الى الأماكن المحتاجة له. ولولا هذه القوة لتسرب الغذاء كالماء الجاري وتوقفت الحياة.

2- القوة الماسكة (المحافظة) :

تُسلم الأغذية الحاصلة من قبل القوة الجاذبة الى القوة الماسكة بوساطة هذه القوة، وتبقى الأغذية في الجسم الى فترة معينة لحين قيام القوة الهاضمة بوظيفتها.

3- القوة الهاضمة :

تقوم هذه القوة بهضم الغذاء الذي احتفظ من قبل القوة الماسكة. ويكون الغذاء المهضوم جزءاً من الجسم. وذلك بمعاونة القوة الجاذبة. ولهذه القوة أربع مصافي وهي : الفم والمعدة والكبد والامعاء الدقيقة والغليظة.

4- القوة الدافعة :

وهي القوة التي تدفع المواد الغير النافعة الى الخارج.

الجوهر :

وهو الاصل الثابت الذي تجري عليه تغيرات وتبدلات الحوادث.

وينقسم الجوهر الى قسمين : الأول مادي، والآخر معنوي. فالمواد الأساس هي الجوهر المادي، أما الأجسام والمواد المختلفة في الشكل والخصائص والناتجة من مركبات المواد الاساس فهي العرضي.

أما الجوهر المعنوي : فهو يضم جميع الروحانيات. فالروح الانساني هي جوهر، وبدنه هو العرض.

وقد اتضح مما سبق ان في الانسان ماهية ثابتة لا تتغير بتغير جسده ألاَ وهي الجوهر. أما القسم

المتغير منه فهو العرض.